محمد متولى الشعراوى



أنت تسأل والإسلام يجيب

الجزء العاشر

دار المسلم

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فهمى.

الاسكندرية

محمد متولى الشعراوى

أنت تسأل والإسلام يجيب

الجزء العاشر

دار المسلم

١٤٠٣ — هـ
١٩٨٣ — م

رقم الإيداع ١٧٠٤ / ٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أخى المسلم :

من أجلك يتم طبع هـــذه السلسلة من أجلك يتم التحقيق لكل حكم قد تجد فى حياتك مشكلة .

ابعث إلينا لنجد رأى فضـــيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى . .

والله الموفق . .

دار المسلم

٣١٧ شارع بور سعيد تليفون : ٩١٢٠٢٦

مقدمة

للأستاذ عبد القادر أحمد عطا

هذه السلسلة بوضعها الحالى تستغل أفكار فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وتنظمها وتنسقها لتشكل منهجاً لبناء الإنسان المسلم من جديد .

وبناء الإنسان المسلم من جديد دعوى مطروحة ، وفكرة معروضة لها أنصارها المخلصون ، وفى الوقت نفسه نحن نطرح هذه الأسئلة حتى يمكن أن ننضم إلى القائلين بها ، أو نعارضها :

(ا) هل تهدم بناء الإنسان المسلم حتى يحتاج إلى إعادة بناء ؟

(ب) وإذا كان قد تهدم بناؤه ، فما هى مظاهر هذا الهدم ؟

(ج) وإذا وضحت لنا المظاهر ، فهل يوجد بيننا من لم يصبه معول الهدم حتى يكون صالحاً للعمل فى إعادة البناء ؟

والإجابة على السؤال الأول : نعم . لقد انهدم بناء الإنسان المسلم حتى أصبح محتاجاً إلى إعادة بنائه من جديد . . فقد سادت الأمية الدينية بين السواد الأعظم من شعوب الإسلام وحلت الخرافة

فى المكان الأول من القلب والنفس ، وعبد الفرد من دون الله تحت أسماء وشعارات دينية مصنوعة تنقل القيم الدينية إلى دنيا المجاذيب و« المهاويس » .

والطبقة التى نسميها مثقفة لم تصب من ثقافة الإسلام سوى ما يحقق للذاكرة ذاتها بالحفظ والتفريغ . . فالمناهج التعليمية الدينية هى العجب العجاب . . هى مجموعات من النصوص والقواعد يطالب الطالب بحفظها وتفريغها فى الأوراق ، والكثيرون ينالون الدرجات القريبة من النهائية فى الامتحان ، ومعنى هذا أنهم قاربوا الكمال فى الإسلام ، والحق أنهم تدهوروا إلى الأسفل بدلا من أن يصعدوا إلى الأعلى .

من هنا هزلت العقول والقلوب ، وهزلت القدوة والأسوة ، وتدنى عندهم فقه الإسلام وعلمه وذوقه ووجدانه . حتى تحول فى كثير من البيئات إلى مكاء وتصدية كما كان عليه الأمر فى الجاهلية الأولى .

وفى الوقت نفسه تعاظمت قوة المسلمين المادية ، وازدادت متطلبات شهواتهم ، وأشبعوها بكل ما أوتوا من قوة ، وهاجت جماهيرهم وماجت سعياً وراء المال ، ونجحوا أيما نجاح فى الحصول عليه على حساب قيم الإسلام وأصوله .

أما المظاهر التى نراها الآن وبكل الأسف والصراحة التى يتحرج عنها الكثير من الكتاب فهى بين الجماهير كما قلنا قوة فى جانب المادة ومتطلباتها ، وهزال فى جانب العقل والروح ومتطلباتهما ، ومن ثم أصبحت دنيا المسلمين دنيا السباع الضارية ، والجرائم المعروضة فى الصحف خير شاهد على ما نقول .

ومن ناحية أخرى فإن من يتصدون للفكر والكتابة أصبحوا صورا متشابهة ، تندر بينها الصورة الجديدة ، والرأى المبتكر ، والرؤية البعيدة ، ودانوا جميعاً بقول القائل : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، والحق أن عطاء الإسلام مائج بالجديد لمن يحاول أن يضنى نفسه فى البحث وبين المراجع الكبرى .

وقل من يفعل ما يقول بيننا جميعا ، وأصبحت نسبة التطبيق بين القول والعمل شيئاً قليلا لا يكفى لدفع العجلة إلى الأمام .

أصبح الهدف هو المال أيضاً ، والدليل أنك تجد أسماء محفوظة هى التى تسيطر على أي اتجاه إعلامى إسلامى ، وكأن الإسلام قد أصبح هو هؤلاء الأشخاص ، وكأنه فرض على الناس أن يتكلموا بألسنة هذا العدد القليل من الذين نجحوا فى السيطرة على هذا الفرع من فروع الإعلام .

وتلك دكتاتورية فكرية يمقتها الإسلام أشـــد المقت ، بل

وتمقتها المذاهب السياسية الوضيعة التى تسمى بالديمقراطية .

ضع أمامك أى صحيفة دينية أوأى برنامج مرئى أومسموع واحصر الأسماء التى تتردد فيـــه ، واحصها شهر اأو شهرين ، وستتحق مما أقول، ولا أدرى إن كنت تقبل أيها القارىء الكريم أن يحتكر الإسلام هكذا ، أو يسمح للقائمين على هذه الوسائل القومية بصنع احتكارات على هذه الصورة ، وكان الفكر قد عقم إلا عند هذه الفئة المعدودة التى تردد ما يحلو لها هى لا ما يجب للإسلام .

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، جاء فى مجلة اللواء الإسلامى فى مناقشة بين الشباب الإسلامى المتحفظ عليه وبين علماء الإسلام أن قال أحد رؤساء الجمعيات الدينية فى مصر :

إن وجود الإمارة بين شباب الإسلام أمر مأمور به شرعاً ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كنتم ثلاثة فأمروا عليكم واحدا » أوكما قال . فوجود ملايين الأمراء على الشباب فى مصر أمر جائز شرعا . . ولكن الممنوع هو اعتبار هذا الأمير مقدس الرأى بحيث لا يناقش فى رأيه . وضرب المتكلم مثلا بنفسه قائلا : أنا رئيس جمعية كذا . ولكنى أسمح لمن هم تحت إمرتى بمناقشتى فى الرأى .

والفكرة فى أساسها خاطئة ، ولكنه أراد أن يصححها ليصحح إمارته على جماعته . الفكرة أن المسلمين إذا كانوا ثلاثة فى سفر ، لا فى حضر وإقامة . فلا بد أن يؤمروا عليهم واحداً تنتهى إمارته بمجرد الإقامة من السفر .

أما التجمعات الدينية تحت أسماء مختلفة فقد عرضنا لها فى مقدمة سابقة وقلنا إنها هوى نفسى ولا شىء غير هذا .

من أجل هذا أقول : إن هذه السلسلة خير ما يوجه المسلم نحو ثقافة حرة إسلامية أصيلة بعيدة عن الشطط .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل .

عبد القادر أحمد عطا

المعجزة والمنهج

س — هل يمكن وصف جميع الكتب السماوية بأنها معجزة ومنهج ؟ أم إن هذا الوصف خاص بالقرآن ؟ ولماذا ؟ .

جـ — كل الكتب السابقة على القرآن من التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى هى كلام الله ، ولكنها كتب قصد بها المنهج فقط . بينما القرآن الكريم يحمل المنهج والمعجزة الدالة على صدق رسول الله ﷺ .

فموسى عليه السلام كان منهجه التوراة ، ومعجزته العصا ، يضرب بها البحر فينفلق ، ويلقيها أمام السحرة فتتحول إلى حية تلتقف ما يصنعون ، ويضرب بها الحجر فينبعث منه الماء ، والإنجيل هو منهج عيسى ، أما معجزاته فكانت إبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى بإذن الله .

إذن فالمعجزة شيء ، والمنهج شيء آخر ، ولكن القرآن الكريم يتميز بأنه المنهج والمعجزة معاً ، لأن القرآن نزل على نية الثبات ، إلى أن تقوم الساعة ، ولذلك لا بد أن يؤيد دائماً بمعجزات ، وأن تكون المعجزة معه .

فالمنهج عين المعجزة حالة مفقودة فى الرسالات كلها ، ولكن

معجزة محمد ﷺ أمر موجود يمكن أن يشار إليه فى أى وقت من الأوقات .

ونظرة واحدة فيما قال الله تعالى عن كونيات الحياة التى أتيحت للعقل البشرى فى القرن العشرين ترينا أن القرآن يشير إليها ، لأن العمر فى الرسالة للقرآنية إلى أن تقوم الساعة ، فيظل القرآن معجزة حتى قيام الساعة ، ولا بد فى هذه الحالة أن يكون له عطاء يمثل إعجازاً لكل عصر .

ولو جاء القرآن وأعطى إعجازه كله فى قرن من الزمان فإن يستقبل القرن الآخر بلا إعجاز ، فبذلك يجمد . . ولكن لكى تبقى المعجزة يجب أن يظل إعجاز القرآن إلى أن تقوم الساعة . ولذلك يقول الله تعالى :

(**سنريهم آياتنا فى الآفاق**) هذه هى الآيات الكونية . .
(**وفى أنفسهم**) . وهذه هى الآيات الطبية .

(**حتى يتبين لهم أنه الحق**) . أى أن القرآن هو الحق .

وبذلك يمكن لنا أن نقول : إن آيات الكون ستأتى موافقة لآيات القرآن حتى يتبين لهم أنه الحق .

وكلمة (سنريهم) توحى لنا بأن الله سبحانه وتعالى سيعطينا

آيات الكون وأسراره ، ويمكن أن يعطيها للمؤمنين وغير المؤمنين
ولقد أعطى الله سبحانه من آيات الكون للمؤمنين ، فبرع المسلمون
ووضعوا أساس العلم الحديث للعالم .

ثم أعطاه لغير المؤمنين ، ولذلك يفسر قول الحق سبحانه :

(حتى يتبين لهم أنه الحق) .

أى يكون الذين أعطاهم الله آيات الكون فى وقت من الأوقات منكرين للقرآن الكريم كحق ، لأن المؤمن يفهم أن القرآن هو الحق ، وهو ليس فى حاجة إلى بيان ، أما غير المؤمن فهو الذى يشك فى هذا الدين .

وفى هذه الحالة يكشف الله آية تبين له أنه الحق .



الاسراء بالجسد

س — مازالت الأقاويل تثور بين المسلمين حول قضية الإسراء ، وهل هو بالروح والجسد فى اليقظة ، أم هو منام بالروح فقط ، ولكل فريق حجة ودليل ، لهذا نريد تركيزاً لوجه الحق فى هذه القضية ، مقروناً بتفنيد حجة الخصم ؟

ج — حينما تكلم القرآن عن حدث الإسراء قال تعالى :

(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) . .

هذا النص هو عمدتنا فى توثيق هذا الحدث ، وما دام هذا النص من الله ، فعلى المسلم أن يؤمن به ، ثم على عقله بعد ذلك أن يبحث فى قياسات هذا التسليم ، ليجد أنه آمن بالله ، ثم يجد أنه يتلقى عمن آمن به ، وما عليه بعد ذلك إلا أن يؤمن به وبأنه حدث . .

استهل الحق كلامه عن الحدث بقوله : (سبحان) وهى كلمة تعطى الإنسان طاقة قوية بعيدة عن كل شبهة من شبهات المقارنة التى تأتى بين قانون المادة الأرضية الإنسانى البشرى ، وبين قانون الله .

فمعنى (سبحان) أن الله منزه فى ذاته وفى صفاته وفى أفعاله ، فإذا صدر فعل قال الله عنه : إنه صدر منى ، فيجب عل المسلم أن ينزهه عن قوانين البشرية . ولذلك استهل الحق سبحانه وتعالى السورة بقوله : (سبحان) . أى : تنزيه للعلى عن أفعالكم .

ثم يقول تعالى بعد ذلك : **(الذى أسرى)** . فالله سبحانه هو الذى أسرى بمحمد ﷺ . . واختار الله لفظاً يعطى حيثية تلك التجربة ، وهو **(بعبده)** . وبعد ذلك بداية الإسراء **(من المسجد الحرام)** . ونهايته **(إلى المسجد الأقصى)** . ثم يأتى السبب **(لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)** . .

سميع بماذا ؟ وبصـــير بماذا ؟ . كان يمكن أن يقول الله سبحانه بعد أن يريه الآيات : إن الله على كل شىء قدير . إن الله وهاب مثلا . أما أن يقول : (إنه هو السميع البصير) ، فذلك يدل على العلة الحقيقية التى استوجبت أن يسرى الله سبحانه برسوله ﷺ . فقد سمع الله الإيذاء الذى أوذى به رســـوله ﷺ ، ورأى ما تعرض له من الجفاء ومن الاســـتهزاء ، والسخرية والإهانة . فحين رآى الله ذلك ، وسمع به ، أراه الله ، وأسرى به . .

وإذا أردنا أن نأخذ عنصر الفعل فى أى فاعل فإننا نجد أن الفاعل ملحوظ فى ذات الفعل . فإذا قيل : خطب فلان فستأخذ

الخطبة بمعيار فاعلية الخطيب الذى نعرفه . فلا تأخذ الفعل من فاعل ، وتعطى قانون غير الفاعل .

الله تعالى يقول : (سبحان الذى أسرى) . فالذى أسرى هو الله ، والفعل هنا واقع من الله ، فلا يعقـــل أن نأخذ محمـــداً صلى الله عليه وسلم بفعل الله به ، ومادام الله قد فعـــل فلماذا نستعجب .

محمد لم يقل : أنا أسريت حتى نرده إلى قانونه ، ونقول له كما قال الكفار له : إنا نضرب إليها أكباد الإبل شهراً ، وتدعى أنك أتيتها فى ليلة ، من الذى قال: إنه أتاها فى ليلة ؟ هو لم يأتها فى ليلة ، وإنما أتى به ، فالمقارنة خاطئة ،كان يجب أن يقارنوا فعلا منه بفعل منهم . أما أن يقارنوا فعلا منهم بشىء لم يفعله هو ، ولم يدعه ، فهذه استحالة فى المناقشة .

وإذا كانوا يصعدون المسألة فى القياس ، فكان يجب عليهم أن يصعدوها إلى الله ، ولايصعدوها إلى محمد صلى الله عليه وسلم لأن محمداً قال : أنا لم أسر ، وإنما أسرى بى ، إذن فمحمد محمول على نطاق قوة أخرى ، قوة لا حساب عندها ، وهى قوة الله سبحانه وهم لم يردوا المسألة إلى الله ، وإنما ردوها لمحمد .

وما دامت المســـألة من الله ، وهو الذى أسرى ، ومحمد

مصاحب ومحمول قانون ضعفه البشرى على قانون قوة ربه القائد، فإذا قيست المسافة وزمانها بنسبة القوة التى فعلت ، وهى قوة الله ، نجد النتيجة أنه لازمن .

قد يأتى شخص ويقول : ما دام ليس هناك زمن فلماذا أخذ ليلة ؟

ونقول له : لأن هناك فرقاً بين حدث الإسراء فى ذاته كنقله وبين المرائى التى تعوض لها الرسول صلى الله عليه وسلم .

فالمرائى التى تعرض لها رآها ببشريته وبقانونه ، وهى التى احتاجت للزمن ، أما النقلة فى ذاتها فلم تحتج إلى زمن ، لأنهـــا محمولة على قانون من لا يتحكم فيه الزمن :

إذن فالذين ناقشـــوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه المســألة يعطون صورة من عقلهم فى أنهم قارنوا مقارنة غير موضوعية .

ونحن هنا نناقشهم فنقول :

إن المسألة ليست حدثاً من محمد،فاستبعدوا قوانين بشريتكم ، وصعدوا المسألة بالنسبة لله ، يقدر أولا يقدر ، قوته تحتاج إلى زمن أو لاتحتاج ، هذه هى المسألة :

ولقد هيأ الله لدين الإسلام جنوداً حتى من الكافرين ليعاونوه على الانتشار والدعـــوة إلى الحق . . ولو لم يقف الكفار من رسول الله ﷺ هذا الموقف ليقولوا له : أتدعى أنك أتيتها فى ليلة ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهراً ، فربما قال قائل بعد ذلك : لقد ظنوه مناما ، والمنام لا يمارى فيـــه . .

فموقفهم هذا الذى وقفوه قديماً أمام رسول الله ﷺ ، يؤكد أنها لم تكن مناما ولا روحا ، وإنما كانت يقظة بجسده وروحه ، وإلا لما صدر هذا الاعتراض . فهؤلاء الكفار خدمونا خدمة كبيرة الآن ، لأننا نقول : لو كانت رؤية منامية لما ناقش فيها أحد .

ومن يقول ذلك يسانده النص القرآنى فى قوله تعالى :

(وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) .

وعند العرب كلمة (رؤيا) لا تأتى مصدراً « لرأى» البصرية ، بل للمنامية ، لأن « رأى» البصرية يقال فيها : رأى رؤية . ونص القرآن : (وما جعلناك الرؤيا التى أريناك) . وهـــذه يعنى أنها منامية ، وإذا كانت منامية فكيف تكون فتنة للناس إذا كانت منامية فلن يناقشها أحد ، لا تصديقاً ولا تكذيباً .

إذن فكون الحق سبحانه وتعالى جعل هذه الرؤيا فتنة فلا بد أن تكون هـــذه الرؤيا حقيقية . . ولا مانع أن يكون الرسول ﷺ قد رأى الإسراء رؤيا، ثم رآه يقظة ، كما حدث الله فى بعض سور القرآن :

(لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المســجد الحرام) . .

رآه فى الرؤيا ، ثم صار حقيقة وواقعاً ، فما الذى يمنع أن يكون الله قد آنس روحه فأراه فى المنام هـذه المشاهد ، وبعد ذلك رآها حقيقة ، كما رأى أنه دخل المسجد الحرام رؤيا ، وبعد ذلك رآه حقيقة . ويكون معنى آية الإسراء : وما جعلنا الرؤيا التى رأيتها فى المنام إلا فتنة أى واقعاً يفتن فيــه الناس ، وبعد أن كانت كذا صارت كذا .

إذن فلا مانع أن يكون الرسول قد تعرض لحدث الإسراء مناماً ، وتعرض له روحاً ، وتعرض له يقظة . . والســيدة عائشة رضى الله عنها تقول لنا فى ذلك : « إنه ما رأى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح » . فإذا كان الرسول ﷺ ، قد رأى رؤيا ، فهى إذن حقيقة .

بهذا يكون الإمكان العقلى موجوداً بإسناد الفعل إلى الحق

سبحانه وتعالى ، وإبعاد محمد عن مدار النقاش ، فيكون محمد مصاحباً لا علاقة له بالفعل .

بعد ذلك تأتى حيثية أخرى فى قوله تعالى : **(بعبده)** .

لم يقل : برسوله ، أو بمحمد ، إنما أتى بصفة العبودية . والعبودية كلمة يمقتها الناس حينما تكون من خلق لخلق ، لأن عبودية الخلق تعطى خير العبد لسيده ، ولكن عبودية الخلق للحق تعطى للعبد خير سيده .

إذن فالعبودية هنا شرف ، وكلما زادت العبودية زادت منن العطاء من الله سبحانه وتعالى :

إذن فالحق سبحانه وتعالى حينما قال :

(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) . .

أعطانا شبه الحيثية حتى يمكن الرد على الذين قالوا : إن الإسراء كان بالروح ، لأن كلمة العبد لا تطلق إلا على الروح والجسد معاً .



السجود فى الأديان

س — هل السجود خاص بالمسلمين فى دين الإسلام ، أم هو عام فى الأديان كلها ؟ .

ج — السجود موجود فى الرسالات كلها . قال تعالى :

(يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين) .

وقال عز وجل فى سورة الكهف :

(لنتخذن عليهم مسجداً) .

فكأن السجود هنا موجود فى الرسالات كلها ، والمسجد كذلك . وكلمة مسجد ، وهى تعنى مكان السجود لم تأت مع الإسلام ، وإنما شاع استعمالها مع انتشار الإسلام .

جميع المراسلات : —

تكون باسم

أبو اليسر محمد أبو اليسر

مدير الدار

الحروف المقطعة فى أوائل السور

س — ما زالت الحروف المقطعة التى افتتحت بها بعض سور القرآن سراً مغلقاً ، ورغم ذلك فقد حاول البعض تفسير كل حرف لكلمة مفتتحة بهـذا الحرف دالة على كمال من كمالات الله تعالى . . فما هو الحق فى أمر هذه الحروف ؟ .

ج — إن للإدراك العقلى حدوداً يقف عنـدها أمام الفيض القرآنى . . وإن لهـذه الحروف أسراراً لم يكشف عنها الحجاب بعد .

وذلك أن الله تعـالى أراد لكتابه الحكيم أن يتضمن من الأسرار ما لا علم للبشرية ، وعلم رسوله ﷺ بعض هـذه الأسرار ، وكشف الرسول عن بعض هذه الكنوز لأصحابه على قدر طاقة عقولهم على الاستيعاب .

وكأن الله تعالى بافتتاحه بعض سور القرآن بحروف توقيفية أراد أن يعلمنا : أن ما أنزله على رسوله من كتاب مبين . . إنما هو معجزة من نفس صنف ما نستعمله نحن العباد . . إنه مكون من حروف نستعملها نحن فى حياتنا ، ولكنه يختلف عنها فى

أنه منهج ومعجزة فى آن واحد . . وله عطاء متجدد فى كل زمان ومكان . .

وإذا تأملنا بعض السور التى بدئت بحروف توقيفية نجد أن الذى يأتى بعد هذه الحروف مباشرة هو تأكيد أن القرآن صنع من مثل الحروف ، لكن ما جاء بالقرآن من آيات ومعجزات هو فوق طاقة من ينطقون هذه الحروف .

ولنعرض بعض الآيات التى جاء فى مقدمتها حروف توقيفية لنبرهن صحة ما نقول . قال تعالى :

(ألم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للتقين) ، البقرة وفى سورة أخرى يأتى ذكر القرآن ككتاب منزل من السماء :

(ألم . الله لا إله إلا هو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل . من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام . . آل عمران) . .

وهكذا تمضى الحروف التوقيفية فى أوائل السور لتعلمنا أنه لا معلم لمحمد إلا الله ، وأن القرآن المعجز جاء من عند الله ، وأن أسرار القرآن تتكشف خلال العصور .

* * *

— وهل وصل العلم إلى عطاء من هذه الحروف غير هذه المعانى التى ذكرها المفسرون قديماً ؟ .

— حاول أحد الشباب المسلمين بالولايات المتحدة الكشف عن شيء من أسرار هذه الحروف عن طريق (الكمبيوتر) .

حاول هذا الشاب أن يحصر عدد حروف القاف فى سورة (قٓ) فوجد أن عدد القافات ينقسم على عدد حروف البسملة وحروف البسملة تسعة عشر حرفاً .

وعدد القافات فى سورة (قٓ) ينقسم على تسعة عشر .

وقد تنبه الشاب المؤمن إلى أن الله تعالى عند ما تكلم عن قوم لوط تكلم عنهم فى مواضع ذكرهم فى القرآن بقوله : (قوم لوط) * ولكن فى سورة (قٓ) ، والتى تمتلىء بحرف القاف ، عند ما تأتى سيرة قوم لوط فيها فإن القرآن يقول عنهم فيها : (إخوان لوط) .

(كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود * وعاد وفرعون وإخوان لوط * وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد) .

ويقول للشباب المؤمن : لو جاءت سيرة لوط وقومه فى

هذه السورة بقوله تعالى : (قوم لوط) بدلا من (إخوان لوط) لما قبلت حروف القافات بهذه السورة أن تنقسم على تسعة عشر وهو عدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم .

* * *

توثيق رسم القرآن

س — إذا كنا مؤمنين بتوثيق نص القرآن : وأنه وصل إلينا كما نزل على رسول الله ﷺ ، أفلا يمكن أن يقول أعداء القرآن : إنه لم يصل إلينا برسمه الإملائى الذى أملاه الرسول ودونه كتبة الوحى ، واختلاف الرسم تختلف معه المعانى والألفاظ أحياناً ، مما يزعزع الثقة فى توثيق القرآن ؟ .

ج — القرآن بشكله المادى مضبوط ضبطا محكماً ، ولو تأملنا مثلا آيات الربا ، فلسوف نجد أن كل آيات الربا رسمت فيها كلمة الربا هكذا (ربوا) ، كلها مكتوبة بحرف الواو إلا فى آية واحدة مكتوبة بالألف وهى :

(وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) .

ولو تأملنا كلمة (تبارك) نجدها مرة مكتوبة بالألف ، وتارة تكتب بدون ألف . :

إذن فالقرآن منزل بوضع يتأكد فى كل عصر وبدليل مادى أنه باق لنا كما أنزل على محمد ﷺ من عند الله بنفس ما جاء به من كلمات وحروف وكتابة ورسم .



لماذا تحدى القرآن الجن

س — تحدى الله تعالى للإنس بالقرآن معقول ، أما الذى نريد أن نفهمه فهو تحدى الجن ، ونحن لا نعرف لغة الجن بالضبط ؟ .

ج — نعم . . لم يكن التحدى مقصوراً على العرب وحدهم إنما كان التحدى لكل الإنس والجن أيضاً .

وكلمة تحـــدى الجن لها ملحظية فى القرآن ، فالعرب قديماً كانوا يظنون أن كل شاعر بليغ أو أديب فصيح له شيطان من الجن يعلمه .

وظن العرب أن هناك واديا للجن اسمه وادى « عبقر » ، تسكنه شياطين الإلهام .

ومن هذا التصور جاءت كلمة « عبقرى » أى منسوب إلى وادى « عبقر » . ويقول الحق جل وعلا فى كتابه الكريم :

(وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغى لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون . فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين . وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون . وتوكل على العزيز الرحيم . الذى يراك حين تقوم . وتقلبك فى الساجدين إنه هو السميع العليم . هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون . والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) . .

إن التحدى لا يقف عند الإنس ، بل يتعدى إلى الجن . . ويفصل الله الآيات بأن الشياطين معزولة عن قرآن ، وأنه إله واحد . . . والآيات التى تنزل عليك من الله منزهة عن أن

تكون من قول الشياطين ، لأنك لست بشاعر ، فقولك مرتبط بملك من الملائكة ، على عكس الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون .

* * *

دلالة الإعجاز فى الحروف المقطعة

س — ما هو الملحظ الإعجازى للقرآن فى إيراد الحروف المقطعة فى أوائل السور ؟ . .

ج — الملحظ هو : أن القرآن من جنس كلام العرب ، وبنفس حروفهم ، وهى الألف واللام والميم والطاء والسين ، وبقية حروف المعجم .

إذن لم يأت رسول الله ﷺ ، بحروف جديدة أو كلمات جديدة ، وإنما أتى بحروف عربية ، وبكلمات من جنس كلمات العرب ، فلماذا جاء النسيج القرآنى أقوى وأبلغ من أى نسيج لغوى يستطيعه البشر ؟ .

إن القرآن الذى أعجزتكم به وتحديتكم به ، لا يتكون إلا من نفس حروف لغتكم ، ولم آت بحروف جديدة ، ولكنى جئت بترتيبات جديدة تعيد انسجام الإنسان مع الكون .

إذن التفوق فى البلاغة والنسيج والفصاحة ليس من طبيعة المادة ، ولكن لأن المتكلم مختلف . المتكلم باللغة العربية خلق وبشر ، والمتكلم بالقرآن الكريم هو الخالق الأكرم .

ولهـذا لو نظرنا إلى أى أديب مهما بلغ من علو شأنه فى الأدب ، فإننا نجد أنه يقول كلاما ومعانى لا تزيد .

هى باقية على ما هى عليه بلا إضافة ، لو قرأها أى واحد منا ولو بعد عشر سنين فإنها تتضمن نفس المعانى .

لكن القرآن لا تنقضى أسراره ، كل يوم تقرؤه تجـد له معانى جديدة .

إن ما نصنعه ـ نحن المخلوقين ـ يظل ثابتاً على ماهو عليه . . كذلك أمر الكلام ، يكتبه الخلق من الحروف ، ويكونون به الكلمات ، فيظل على ما هو عليه ، ولا يزيد شيئاً .

لكن عندما يأخذ الله من هذه الكلمات لينزل بها قرآناً ، فإنه يعطيها الحياة ، فتظل آيات القرآن تعطى كل يوم عطاء جـديداً . .

وهذا هو الفرق بين إبداع الله تعالى ، وبين ما يصنعه الخلق .



ملحظ يستحق الدارسة

س — لماذا لم يستوعب الله تعالى جميع حروف المعجم فى الحروف المقطعة التى جاءت فى أوائل السور ؟ .

ج — عندما نحصر الحروف التى جاءت فى مقـــدمات السور سوف نجد أنها أربعة عشر حرفاً ، أى نصف حروف المعجم العربى :

ولقـــد أضاف علماء اللغة إلى اللغة اصطلاحات لم تكن موجودة وقت نزول القرآن فى تقسيم الحروف .

فالحروف على إجمالها لها مخارج ، ولها صفات . حرف الباء مثلا مخرجه الشفتان . والهمزة والعين والحاء مخرجها الحلق . وهناك حروف تسمى حرف « رقة » وحروف مستعلية ، وحروف شدة . . إلخ .

هذا التقسيم اللغوى للحروف نجد فيه أن هـــذه الحروف الأربعة عشر التى جاءت فى أوائل السور تأخذ نصف كل قسم من هذه الحروف . .

فكأن الله قد أعطى لنا من هذه الحروف « عينة » لمكونات القرآن . .

* * *

الأمراض النفسية

س ــ الذى يقارن بين الناس اليوم وبينهم فى الأجيال السابقة يجد شيوع الأمراض النفسية بينهم الآن ، بينما هــذه الأمراض كانت نادرة فيما مضى ، فهل للدين دخل فى هذه الظاهرة ؟

ج ــ المؤمن حين يقبل على عمل فإنه يقبل عليــه وهو يســتعين بالمسبب ويتوكل عليه ، وإن اتخذ الأسباب وسيلة ، فإذا فسد السبب فإن المؤمن لا يحزن ولا يكتئب .

أما غير المؤمن فإذا سعى إلى شىء أقبل عليه معتمداً على السبب ، فإذا فشل أصابه القلق والخوف والاضطراب ، أو أقدم على الانتحار ، أو أصيب بمرض نفسى . .

ولذلك مثلا نجد أن أعلى الإصابات بالجنون هى فى السويد وفى أمريكا . .

ويعجب بعض الناس من ذلك ، كيف يمكن أن تكون هذه النسبة مرتفعة بهذا الشكل ، مع أن الحياة المادية فى هذه الدول ذات مستوى عال . .

والذى يتفق مع العقل والمنطق أن تكون الدول التى يسمونها

« المتخلفة » هي التي توجد فيها أعلى نسبة للانتحار والجنون ، لأن الحياة المادة فيها صعبة وعسيرة . ولكن العكس هو الصحيح . .

والسبب أن هذه الدول المادية قد عبدت العلم ، وتركت الدين ، وإذا غاب الإيمان عن النفس البشرية غابت عنها الطمأنينة والسعادة والرضا ، ودخلت في معركة ، وهما منها أنه يمكن أن تخضع الكون لإرادتها ، فإذا فشلت كانت الصدمة ، وكان الجنون والانتحار . .



تعقيب :

والإيمان يغيب الآن عن بلاد الإسلام مع سعارهم إلى المال وزينة الحياة التي استولت على القلوب ، وأفسدت الضمائر ، وأشاعت الفضائح في الأعراض ، وفي هذا السباق المادي الرهيب مع غياب العلم والعمل والوجدان ، تتصاعد حالات المرض النفسي ، والشذوذ الذي تطالعنا أنباؤه المخجلة بين حين وآخر .

ولهذا السر حارب الإسلام الترف ، وحذر من زهرة الحياة الدنيا ، واعتبرها فتنة وليست نعمة خالصة .



— إذن فما الخطوات التى يتبعها المؤمن لكى يكون فى مأمن من القلق والاضطراب النفسى فى هذا العصر ؟ .

ج — الإنسان المؤمن إذا أقبل على عمل فإنه يبدؤه مستعيناً بالله سبحانه وتعالى ، مع تخليص نيته من الشر ، وشحنها بالخير وابتغاء مرضاة الله . ثم يأخذ بالأسباب المشروعة .

فإذا كان إنسان ذاهباً لشراء صفقة أو لبيع شىء . . فأوله الأشياء أنه يعد الإعداد المادى الدنيوى أخذاً بالأسباب . فإذا كان مشترياً ، أعد المال ، وإذا كان بائعاً أعد السلعة . . المهم أن يعد كل ما هو لازم للصفقة من سلعة وعقود وما شابه ذلك .

ثم يبدأ متوكلا على الله . . إن أصاب ، فهو خير ، وإن أخفق ، فهو خير . .

إن أصاب علم أن الله سبحانه وتعالى قد وفقه ، وكيف لا ؟ وقد استعان باسم الله ، ورعاه الله فى كل شىء ، فإذا جاء التوفيق من الله فهو خير أمده الله به . . وإن لم يأت التوفيق من الله ، ولم تتم الصفقة ، فلا بد أن الله رأى فيها شراً فأبعدها عنه . وهناك أشياء كثيرة ظاهرها الخير ، وباطنها وحقيقتها غير ذلك .



دلالة الثراء والفقر

س — فى مجتمع المؤمنين الصالحين نجد بعضهم وقد فتح الله له أبواب الرزق والثراء ، وبعضهم وقد ضيق الله عليه الرزق مع أنهم جميعاً صالحون . . فما دلالة هذا التفاوت ومراميه ؟

ج — هناك إنسان يفسده الرزق الكثير ، ويدفعه إلى طريق المعصية والهلاك ، فإذا منع الله عنه فيض الرزق كان ذلك رحمة به لا ضررا له .

وهناك إنسان قلة الرزق تجعله يتجه إلى المعصية والهلاك ، فإذا فتح الله له فى الرزق كان منجاة له من النار .

كلا الشخصين يريد الرزق ، وكلا الشخصين مؤمن ، ولكن الله سبحانه يحب عباده ويعطى أحدهما ويمنع عن الآخر ، وفى العطاء رحمة ، وفى المنع رحمة .

والإنسان المؤمن يمضى فى الحياة وفى قلبه هذا الشعور ، وهو يعلم يقيناً أن الله ولى الذين آمنوا فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وهو يعلم ما لا نعلم ، فإذا لم يوفقه فى شىء فمعنى ذلك أنه دفع عنه شراً ، ولذلك فإن المؤمن يقول : الحمد لله دائماً ، إذا أعطى وإذا منع ، وينطبق عليه قول الله تعالى :

(لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)

فتنشأ النفس المؤمنة بعيدة عن القلق ، بعيدة عن الإحباط ، بعيدة عن كل ما يمزق النفس البشرية ويهدمها ، ويدفعها إلى الجنون أو الجريمة .



مشروعية التسمية

س — بدئت سور القرآن بالبسملة ، وشرعت البسملة فى بداية الأعمال ، فما الذى يعود على الإنسان من الخير فى هذا التشريع ، وما الخطر فى إهمالها ؟

ج — حكمة هذا التشريع أنه سبحانه وتعالى يذكرنا بأن ندخل عليه من باب الرحمة ، أكثر من أن ندخل عليه من باب العمل ، فالإنسان خلق ضعيفاً ، والإنسان خلق خطاء ، وخلق ظلوما ، ورسول الله ﷺ قال : « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله . قيل ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدنى الله برحمته » .

وأنت إذا استعنت بالله فإنك تستعين برحمته ، لأنك لو استعنت بعدل الله ، فعدل الله لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ،

ولن تجد لك سبيلا إلى رضوانه ، فذنوب الإنسان لاتحصى ، إذا تكلم فقد ينم ، وإذا حكم فقد يظلم ، وإذا ظن فقد يسيء ، وإذا تحدث فقد يخطيء ، وإذا شهد فقد يبتعد عن الحق .

هذه أشياء يرتكبها الواحد منا مئات المرات ، وبدرجات متفاوتة ، فما من إنسان لم يصدر عنه فى يوم من الأيام كلمة تحمل معنى النم ولو مرة ، ولم يصدر عنه حكم بعيد عن الصدق فى أى شيء من أمور الحياة ، ومن منا لم يسيء الظن بإنسان كل يوم ؟ ومن منا لا يخطيء الحديث ، ولا يبتعد عن الحق ولو خطوة واحدة ؟

من منا ذلك الذى يستطيع أن ينسب الكمال إلى نفسه ، وأن يخلص هذه النفس من هواها ، وأن يبعدها عن الخطيئة ؟ من ذا الذى يستطيع أن يدعى أنه منذ أن استيقظ حتى نام لم يخطيء ، ولم يرتكب إثما ولوصغيراً ، ولم يهدر حقا لإنسان .

لذلك كان لابد من باب الرحمـــة ، وأن يكون هذا الباب مفتوحا على مصراعيه ، يهرع إليه كل عاص ليقول : يا رب عدت إليك ، وأنا نادم على ما فعلت ، فتقبلنى .

وإذا نظرنا إلى بداية الإسلام وجدنا أن رجالا ونساء من الذين حاربوا هذا الدين فى أوله ، قد حسن إسلامهم ، ودخلوا

فى الإسلام عونا له بعد أن كانوا حربا عليه ، وغفر الله لهم ما كان منهم ، وفتح لهم أبواب رحمته ، ليصبحوا من أئمة هذا الدين .

لهذا قرن الله البسملة باسميه (الرحمن الرحيم) حتى إذا قلت لأى عاص : ابدأ عملك باسم الله فقال لك : لقد صنعت كذا وكذا ، وأنا أستحى أن أستعين بالله بعد أن عصيته . إذا قال لك هذا تقول له : إن الله تعالى علم ذلك أزلا ، ففتح الباب لكل عاص يريد أن يتوب إليه ويستعين به ، فقرن اسمه جل جلاله بالرحمن الرحيم .

لا تعتقد أن الله تعـــالى قد طردك عن رحمته ، أو تخلى عنك إذا رفعت إليه يدك ، واستعنت به ، أو غضب عليك حتى أنه لا يستجيب لك عندما تستعين به فى أمر من أمور الدنيا ، بل الله تعالى يطلب منك أن تستعين به ، ولذلك وضع لك صفة الرحمن الرحيم ، لتعلم أن بابه مفتوح دائما ، وأنك تدخل إليه من باب الرحمة ، فلا تقل : إنى أستحى أن أستعين بالله .

* * *

لماذا لا يحس الإنسان بالنعمة ؟

س — يعيش الإنسان بالنعمة الإلهية وفيها فى كل لحظة ولمحة وطرفة عين ، ولكنه ينساها ، ومن ثم ينسى شكرها دائما حتى يزداد منها ، فلماذا كان هذا النسيان ؟

الإنسان لا يحس بالنعمة ، لأنه يعتاد عليها ويألفها ، فيعتقد أنها حق مكتسب له ، وينسى المنعم ، ولكن الحق أن كل إنسان على وجه الأرض يسبغ الله عليه ملايين النعم وإن لم يعطه شيئاً جديداً .

فعندما يكون نائما ويستيقظ فقد عادت له نعمة الحياة ، وإذا قام من سريره فهذه نعمة الحركة ، وإذا ذهب ليغسل وجهه فقد أنعم عليه بما يغسل به وجهه ، نعمة الماء ، نعمة الصابون ، « الفوطة » التى تجفف بها وجهك . فإذا خرجت لتناول إفطارك فهناك نعمة الحركة ، ونعمة الحياة التى استطعت بها أن تنتقل وإذا طلبت الإفطار فهناك نعمة الكلام ، ونعمة اللغة التى تتحدث بها ، ونعمة الاستجابة بأن سخر الله لك من يقدم لك الإفطار .

وهناك نعمة الفم ، والأسنان ، والبلعوم ، والمعده ، والعصارات الهاضمة ، كل هذه أمثلة من ملايين النعم لا تفكر فيها .

ولكن بعض الناس يفعل هذا كل يوم دون أن يتنبه إلى نعم الله ، يفعل كل هذا وهو جاحد لنعمه .

ولو أخذت بضع دقائق كل يوم لترى فيها آلاف النعم على الإنسان ، فكيف باليوم كله ، وكيف بالعمر كله .

* * *

تعقيب :

من سنن الرسول ﷺ وسلوكياته اليومية : تذكر نعم الله فى كل حركة وفى كل عمل على صورة دعاء لكل هذه الأعمال ، منذ أن يقوم من منامه ، إلى أن يأوى إلى فراشه ، ومن تتبع هذه الأدعية فى مصادرها علم شمولها ، ويقظة الرسول ﷺ فى رؤية النعم .

ومن هذه المصادر كتاب « عمل اليوم والليلة » لابن السنى ، و « نزل الأبرار » لحسن صديق خان ، و « عمل اليوم والليلة للنسائى » و « كتب الدعوات » فى جميع كتب السنة .



العزة للمؤمنين

س — يقرر القرآن الكريم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن الإنسان قد افترض عليه أن يذل لله تعالى عبودية له ، فكيف تتفق هذه الذلة لله مع العزة التي يريدها الله للمؤمنين ؟ .

ج — أنت إذا طلبت معروفاً من أحد فإنه يجب عليك أن تذهب إليه ، وتخبره بأشياء هي من أدق خصوصياتك ، وفى هذا ذلة للنفس ، وقد تلح عليه فى السؤال ، وفى هذا ذلة أكبر .

ولكن الله تعالى حين تتجه إليه يقيك هذا الذل كله، فبمجرد أن ترفع يدك إلى السماء وتقول : يارب ، فإنه يعلم ماذا تطلب ، ويجيبك دون أن تسأل ، لأنه يعلم .

وقد قيل : أن إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار جاء جبريل وسأله هل يريد شيئاً ؟ فقال : منك أنت لا . أما من الله فعلمه بحالى يغنى عن سؤالى .

هذه هى عزة الاتجاه إلى الله ، فنبى الله إبراهيم حين جاءه جبريل وهو من أقرب الملائكة إلى الله إن لم يكن أقربهم ، لم

يشعر إبراهيم أنه فى حاجة إلا إلى الله تعالى ، لأنه سبحانه ليس محتاجاً إلى سؤال .

* * *

الله وهبنا طريق الأمان

س — بين زحام الحياة يغفل الإنسان عن طريق الخلاص من الاضطراب إلى الأمان ، هذا الطريق الذى حدده القرآن فى آيات متناثرة ، فهل نجد فى التراث الفكرى الإسلامى من جمع لنا شتات هذا الطريق فى كلمات مبسطة واضحة ؟

ج — نعم . . هذا سيدنا جعفر الصادق يقول :

عجبت لمن خاف ولم يفزع إلى قول الله سبحانه وتعالى : **حسبنا الله ونعم الوكيل)** . . فإنى سمعت الله يعقبها بقوله : **(فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء)** .

وعجبت ممن اغتم — والغم كآبة فى النفس من شىء قد لا تعرف مصدره — ولم يفزع إلى قول : **(لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين)** . . فإنى سمعت الله بعدها يقول : **(فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين)** .

وعجبت لمن مكر به — أى مكر الله له — و لم يفزع إلى قول الله سبحانه : **(وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد)** . . فإنى سمعت الله يعقبها بقوله : **(فوقاه الله سيئات ما مكروا)** . .

وعجبت لمن طلب الدنيا وزينتها ، كيف لايفزع إلى قول الله تعالى : **(ما شاء الله لا قوة إلا بالله)** . . فإنى سمعت الله بعدها يقول : **(إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً فعسى ربى أن يؤتينى خيراً من جنتك)** .

هذه صفات أربع تعطى النفس البشرية الوقاية مما يفسد عليها حياتها فى الدنيا ، والله تعالى علمها لنا فى كتابه ، كما علمنا من العلم الكثير ، فالحمد لله على جميع نعمائه .



حكمة الكوارث الطبيعية

س — رحمة الله سبقت غضبه ، وهى أوسع من ذنوب الكون كله ، فما هو السر إذن فى وجود الكوارث الطبيعية بين الناس ، كالزلازل والبراكين والأعاصير والفيضانات ؟ وهل هناك تعارض بين وجودها وبين الرحمة ؟

ج — وجود هذه الكوارث فى الكون بين الناس هو عين

الرحمة ، فالله تعالى سخر قوى الطبيعة لخير الإنسان ، ولايحدث الله تعالى زلزالا يدمر الأرض كلها ، أو فيضاناً يغرقها كلها ، ولا يبعد الشمس عن الأرض بحيث تبقى الدنيا فى ظلام .

ولكن الذى يحدث : أن الله تعالى يحدث فى الكون إعصارا أو سيلا ، أو زلزالا ، بشكل محدود جداً ، وليس بشكل شامل ، وذلك ليلفتنا إلى نعمه ، ويقول لنا : إنكم لاتسيطرون على الأرض بقدرتكم ، ولكن بتسخيرها لكم .

ولكى تعلم ذلك أيها المؤمن ، فامنع إعصاراً ، أو أوقف فيضاناً .

وكل هذه الأمور تتم فى حدود ضيقة ، وبينها فترات زمنية طويلة ، لتعلن للناس رحمة الله بتسخير النعم لهم ، ولفت أنظارهم إلى أنه وحده سبحانه المنعم ، وتلفتهم إلى قدرته ، وكيف أن هذه الزلازل والسيول تستطيع أن تدمر الأرض كلها ، وكيف أن الإنسان أمامها ضعيف عاجز ، لا يملك حيالها حولا ولا قوة ، ثم كيف بعد ذلك أن الله برحمته هو الذى يمنع كل هذا .

فإذا وضعنا هذه الصورة أمامنا علمنا مدى الرحمة الإلهية .



التكليف والحدود .. أعظم النعم

س — التكليف الإلهي نعمة .. نحن نؤمن بهذا .. ولكن أليس من حق الأمم الأخرى أن تقول : والقوانين التي سنتها لمجتمعاتها هي الأخرى نعمة ؟

ج — إنني أطالب أي إنسان يريد أن يعرف ما تصنعه تعاليم الله تعالى في الكون من خير ، أن ينظر إلى المجتمعات التي تطبق تعاليم الله ، والمجتمعات التي لا تطبقها ، ليعرف الفارق ، ولا ينظر نظرة سطحية ، ولكن لتكن نظرته عميقة .

ولنضرب مثلا يقرب هذا إلى الأذهان ، ولله المثل الأعلى .

منذ عدة سنوات ، انقطعت الكهرباء في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية .. فكم جريمة اغتيال وقتل وسرقة ونهب وقعت خلال خمس أو ست ساعات من الظلام ؟

انطلق المجتمع كله يقتل بعضه بعضا ، وينهب بعضه بعضا ، ويسرق بعضه بعضا ، ويفتك بعضه بالبعض الآخر .

هذه تجربة حدثت فعلا في مجتمع يوصف بأنه مجتمع متقدم .

ولو أن التيار الكهربائي انقطع لمدة خمسة أيام لا خمس ساعات

فقط في بلد يطبق حدود الله ، حيث تقطع يد السارق ، ويرجم الزاني المحصن، لما حدثت جريمة سرقة واحدة ، ولعاش كل طفل وامرأة وشيخ فى أمن وأمان ، ولتعاونوا جميعاً على قضاء حوائجهم فى الظلام ، ودون أن يخاف أحد من أحد .

هذا هو الفارق بين الحياة فى مجتمع يطبق حدود الله، ومجتمع لا يؤمن بها ، هذا هو الذى يريد الله تعالى أن يوفره لكل مؤمن الحياة الطيبة ، وهو ما لايتوافر أبداً فى أى مجتمع لا يقيم حدود الله ، لن تجد فيه أمنا ولا أمانا ، ولن تجد فيه حياة طيبة ، بل تجد الخوف يسيطر على كل إنسان ، تجد كل إنسان متربص بالآخر، وكل إنسان يحمل سلاحه ليدافع ، أو ليهاجم غيره .

فإذا كان الله تعالى قد قال : افعل ولا تفعل ، ووضع لنا منهجاً يهيء لنا الحياة الطيبة ، فلماذا نترك هذا المنهج ،ونتصادم مع الحياة ، فينقلب الأمل إلى خوف ، والطمأنينة إلى ذعر ، والحياة الطيبة إلى حياة بائسة ؟



أحاسيس الجماد

س — نلاحظ فى شريعة الإسلام تفضل بعض الأماكن على

البعض الآخر ، كفضل عرفات وفضل « طور سيناء » ، وفضل بيت الله الحرام ، إلى آخر ما هو معروف ، فهل يرجع هذا الفضل إلى خواص ذاتية ، أو أحاسيس ذاتية فى تلك الأماكن ؟

جـ — الله تعالى جعل لكل خلق من خلقه إدراكات ، ولكن ظنون الناس لا تتسع لهذه الإدراكات ، فكل خلق نراه أمامنا أو لا نراه ، يتفاهم مع خالقه ، مع أننا لا نستطيع أن نتفاهم مع هذا الخلق .

والدليـــل على ذلك أنه فى الخلق الأول — خلق السماوات والأرض — قالتا : **(أتينا طائعين)** . . ونسب لهما ذلك قولا باستخدام قول الله سبحانه وتعالى : للفظ **(قالتا)** مصداقاً لقوله تعـــالى :

(ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) .

وهل يقال لشىء أو يقول الشىء ، إلا أن يكون هناك فهم من القائل ؟

الله سبحانه وتعـالى أخبرنا أنه علم سليمان منطق الطير ، وأن سليمان فهم عن النملة ، وتفاهم مع الهد هد ، وأن الجبال تسبح مع داود ، والطير كذلك ، وهى كلها عوالم لها إدراكات مناسبة لهمتها .

بل إننى أحب فى هذه النقطة أن أقول : إن لهذه العوالم عواطف ، مع أن العواطف قد اشتهر عنها أنها عند الإنسان فقط.

ولكن انظر إلى قول الله سبحانه وتعالى عندما يتحدث عن إخراج قوم فرعون من مصر . قال تعالى :

(كم تركوا من جنات وعيون . وزروع ومقام كريم . ونعمة كانوا فيها فاكهين . كذلك وأورثناها قوما آخرين فمابكت عليهم السماء والأرض) .

إذن السماء والأرض لها بكاء ، لأن الله تعالى قال : **(فما بكت عليهم السماء والأرض) .**

وما دامت السماء والأرض لم تبكيا عليهم فمن صفاتهما البكاء .

ولو أن السماء والأرض لا تبكيان على أحد لم تكن هناك خصوصية فى هذه الآية الكريمة . ولكن قول الله تعالى : **(فما بكت عليهم السماء والأرض)** يدل على أن السماء والأرض تبكيان .

وإذا كان كذلك فللأماكن خواص ذاتية خلقها الله فيها ، وفضلها بذلك على غيرها من الأماكن . والله أعلم بحقيقة الخواص المودعة فى الأماكن المفضلة فى الشريعة .

الكافر يخشى الآخرة

س — قلتم إن لفظ الكفر مؤمن . . وهو قول صادق . . فهل يمكن القول بأن غير المؤمن وهو الكافر يخشى حساب الآخرة باعتبار الإيمان بالآخرة هو أساس الإيمان كله ؟

ج — أخشى ما يخشاه الكافر هو حساب الآخرة .. وقد يبدو هذا الكلام غريبا ، ولكن ما من إنسان لا يؤمن بالله إلا ويؤرقه الموت ، وينغص عليه عيشه .

إنه سيخرج من الدنيا يوما ، ولكن إلى أين ؟ وهذا هو السؤال .

ولذلك فهو يحاول أن يأتي بالدليل تلو الدليل ، ولو زيغاً أو تضليلا أو إضلالا . . هو أول من يعرف ويعلم كذبه ، ولكنه يحاول أن تقنع نفسه بذلك ، وبأنه لا آخرة ، ولا حساب ، حتى يهون على نفسه ارتكاب المعاصي .

ولو أنه عرف ما سيحدث فى الآخرة لما امتدت يده إلى حرام فى الدنيا .

* * *

كل يوم هو فى شأن

س — ما معنى قوله تعالى : (كل يوم هو فى شأن) .. سورة الرحمن .

ج — أولا لننظر إلى كلمة (اليــوم) هو اليوم بحساب الساعات (٢٤) ساعة ؟ أى إن كل (٢٤) ساعة هو فى شأن .. أم إن معناها إنه كل نهار هو فى شأن ؟ فيكون معنى اليوم النهار أم إن معناه الليل والنهار . .

إذا كان معنى اليوم هو النهار والليل فالله سبحانه وتعالى شأنه لا ينتهى لا ليلا ولا نهار . .

وإذا كان معنى اليوم هو النهار فقط فالأرض كرة ، نصفها ليل ونصفها نهار ، ولذلك فإن النهار موجود دائما على الأرض . وهذا معناه أن شأنه لا ينتهى أبدا . .

وإذا أردنا الدقة وتتبعنا دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس ، لوجدنا أن بدايات الأيام تختلف فى كل بقعة من بقاع الأرض . فالشمس تشرق على بداية هذه البقعة بداية يوم جديد وبعد دقائق تدور الأرض وتشرق الشمس على بقعة ثانية ، ثم ثالثة ، ثم رابعة . .

وهكذا لو تتبعنا خطوط الطول التى رسمها الإنسان على سطح الأرض لوجدنا فى كل دقيقة إشراقة جديدة للشمس فى كل مكان ، وغياباً جديداً للشمس فى مكان آخر .

وإذا وقفنا أكثر وأكثر ، لوجدنا أن كل جزء من المليون من اللحظة يبدأ فيه نهار ، فى مكان وينتهى ليل فى مكان . فالله سبحانه وتعالى حين يقول : (كل يوم هو فى شأن) إذن هو فى شأن لا ينتهى ، لأن حركة الليل والنهار مستمرة على الأرض لا تنتهى أبداً ، لأن كل لحظة يبدأ فيها يوم ، وبعدها بلحظة يبدأ يوم .

ولذلك فالله سبحانه وتعالى فى شأن دائما ، مادام قد قال : (كل يوم هو فى شأن) فهو فى شأن دائما لا ينتهى أبدا .

* * *

أيام الله

س — اليوم كما حدده الله سبحانه فى القرآن عبارة عن ألف سنة ، أو خمسين ألف سنة . . أو اليوم المعدود فى الدنيا (٢٤) ساعة . فما هى حقيقة اليوم عند الله ؟

جـ — لقد أراد الله تعالى رحمة بعقول البشر أن يقرب لهم بعض المعانى التى تعطى مؤشراً للعقل بالنسبة لقضايا الغيب . فقال سبحانه :

(وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) .

وقال جل شأنه :

(تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) .

هل اليوم هنا ألف سنة ، أم خمسين ألف سنة ؟

الله سبحانه وضح لنا هذا الاختلاف فى العدد ليشرح لنا أنه لايحده زمن ، فهو إن أراد يوما كألف سنة قال له (كن) فكان ألف سنة فى يوم واحد ، وإن أراد يوماً مقداره (خمسين) ألف سنة) قال له (كن) فكان يوما يساوى خمسين ألف سنة مما نحسب نحن وبعد .

ولو أراد غير ذلك أكثر أو أقل قال له (كن) فكان .

إذن فمقاييس الزمن لا تحكم الله سبحانه وتعالى ، ولكنه هو الذى يحدد مقدار الزمن . ومادامت مقاييس الزمن غير موجودة ولا تحد قدرة الله ، فالله يستطيع أن يخلق يوما مقداره ألف سنة ، ويوما مقداره خمسون ألف سنة ، أو مليون سنة ، أو كما يشاء .

فلا مقاييس للزمن هنا ، ولكن الله سبحانه وتعالى هو يخلق ويختار .

* * *

عظمة المنهج المحمدى

س — للرسول ﷺ فوائد تربوية لا توجد فى أرقى المناهج على المستوى العالمى كله . . فهل نطمع فى واحدة من هذه الفوائد لتكون نوراً للمسلمين على الطريق ؟

جـ — نعم . . أهدى إلى رسول الله ﷺ شاة من بعض المسلمين ، وكانت عائشة رضى الله عنها تعرف أنه ﷺ يحب لحم الكتف الرقيق فلما جاءته سألها : « ماذا صنعت بالشاة » ؟ . قالت : تصدقت بها ، وبقى كتفها قال : « بل كلها بقيت إلا كتفها » .

السيدة عائشة أرادت أن تقول لرسول الله ﷺ : إن كتف الشاة هى التى بقيت . ولكن رسول الله صحح لها المنطق وقال : لقد بقيت الشاة . أى ما تصدقنا به هو الباقى ، ولكن الكتف التى أبقيناها لنأكلها هو هذا الجزء الذى ضاع ، لأنها لم تحتسب حسنة عند الله سبحانه وتعالى .

كل الشاة بقيت لنا جزاء على الصدقة وهذا هو الباقى . أما الذى أكلناه ، فهذا هو الذى ذهب . لأن الأصل فى الإسلام أن تعمل للآخرة ، فما تصدقنا به للآخرة فهو باق ، أى جزاؤه مستمر . أما ما أكلناه فقد انتهى .

ولهذا يقول الرسول ﷺ : « وهل لك من مالك إلا ما لبسته فأبليت وأكلت فأفنيت ، وتصدقت فأبقيت » .

إذن فالباقى من المال هو الصدقة وحدها .



الرؤيا .. فى الإسراء

س — فى قولة تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) .. استدل القائلون بأن الإسراء كان مناما بأن (الرؤيا) مصدر « رأى » المنامية .. أما رأى البصرية فمصدرها (رؤية) .. وقد عرفنا الرد عليهم عقلا ، وبقى أن نبحث عن رد لغوى عليهم ، فهل هناك رد لغوى عليهم ؟ .

ج — نعم .. إذا رجعنا إلى اللسان الجاهـلى قبل أن ينزل القرآن ، نجد كلمة الرؤيا وردت فى الرؤية البصرية .. فالراعى النمرى — وهو شاعر ساخر جاهلى — يقول فى قصيدة له :

فـكبر للرؤيا وهش فـؤاده
وبشر نفساً كان قبـل يلومها

إذن فقد استعملت الرؤيا بمعنى البصرية ، وبمعنى المنامية ، ولكن عادة يستعملون الرؤيا فى الأشياء العجيبة ، كأنها من الأشياء التى لا تحصل إلا مناما ، كما تقول : أنا رأيت فى الحلم . أى رأيت أمرا عجيباً لا يدرك إلا فى الأحلام .. فهو من الغرابة بحيث يصبح حلماً من الأحلام .



كلام عن المعراج

س — احتفل القرآن الكريم بحدث الإسراء ، ولكنه لم يحتفل بذكر المعراج احتفاله بذكر الإسراء ، فإذا كان المعراج من الأهمية بحيث يستوجب الذكر الصريح ، فلماذا لم يحدث ذلك فى القرآن ؟ .

ج — القرآن تعرض لحدث الإسراء صراحة ، وحينما جاء لحدث المعراج تعرض له التزاما كما يقولون ، لأنه لم يقل : سبحان الذى عرج به من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى .

لم يقل هذا ، إنما قال لنا أشياء تستلزم أنه صعد . . لكن سدرة المنتهى والوقوف عندها ، لم يأت به نصاً .

وهذا من رحمة الله تعالى بعباده ، فالأمر الذى أمكن لرسول الله ﷺ أن يقيم الدليل المادى عليه لسكان الأرض ، وهو الإسراء ، أتى به القرآن صراحة ، حتى لا نعذر فى تبليغه .

أما الأمر الذى قد تقف فيه العقول بعض الشىء فقد تركه لمدى يقينك الإيمانى ، أو مدى تسليمك بالمقدمة التى تلى النتيجة الأخرى ، لأنك ما دمت مؤمنا فستقول : ما دام قد صنع به كذا فيما أعلم ، فهو قد صنع به كذا وكذا فيما لا أعلم .

وهل المعجزات التى أمد الله بها رسله عليهم الصلاة والسلام إلا خرق لنواميس الكون ، وخرق لقوانينه ، وخرق لحقائقه الثابتـــة ؟ . .

وما دامت خرقا ، إذن فلا أستبعدها أن تحدث لرسول الله ﷺ ، وما دام الحق هو خارق الناموس ، ويخرق الناموس ، فيكون الذى آمن بأن الرسول ﷺ ، أسرى به من مكة إلى بيت المقـــدس ، واستطاع أن يقيم الدليل المـادى الأرضى ، واجب عليه الإيمان بالمعراج دون دليل مادى .

وإلا ، ففى المعراج من الذى صـــعد إلى السماء من الناس ليعطى أماراتها ؟ .

هل سيقولون له : صف لنا سدرة المنتهى ؟ .

هل سيقولون له : صف لنا الطريق إليها ؟ .

إنهم لا يعرفون الطريق إليها حتى يسألوه هذا السؤال .

فالحق سبحانه وتعالى رحمة بنا جعل النص على الإسراء الذى يمكن أن يقوم عليه الدليل المادى لأنه أرضى — بالنص الصريح — وجعل المعراج — لأنه سماوى — بالالتزام .

ولذلك قال العلماء : الذى يكذب الإسراء يكون كافراً ، لأنه

صادم النص ، والذى يكذب المعراج لا يكون كافراً ، ولكن يكون فاسقاً ، لأن الإسراء بالنص الصريح ، والمعراج بدلالة الالتزام . .



من أدعية الرسول

عن على رضى الله عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا كبر قال :

« وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً ، وما أنا من المشركين ، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين . . اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت . . أنت ربى وأنا عبدك . . ظلمت نفسى ، واعترفت بذنبى ، فاغفر لى ذنوبى جميعها ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها ، لا يصرف عنى سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك ، والخير كله فى يديك ، والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك » . . .

* * *

الكوافير للنساء

س — هل يعتبر تصفيف المرأة شعرها لدى « الكوافير » . حلالا أم حراما ؟ . .

ج — إن المرأة تذهب إلى « كوافير » رجل ، وهذا حرام قطعاً ، لأنها سمحت لرجل أجنبي عنها برؤية شعرها ولمسه وتصفيفه واشتهائه . .

أما إذا كان (الكوافير) امرأة مثلها ، وكان ذلك فى مكان مأمون ، بعيداً عن أعين الرجال ، فلا مانع منه . .

ويجب على المرأة العاقلة أن تعرف أن حرص الإسلام على عدم تبذل المرأة ليس أنها مالها . . فإذا اطمأننا على دين المرأة وخلقها فهل نطمئن على دين وخلق من يراها على غير ما أمر الله به من احتشام ؟ .

أما احتجاج بعض النساء برأى بعض العلماء فنقول لهن :

ما دامت المرأة قد رأت فى العلماء التى تقول عنهم حجة ، فلتتبعه ، لو تصورت أنه سيحمل عنها ذنبها عند لقاء الله تعالى .

* * *

— إذن ماذا يجب على المؤمن الحريص على دينه عند ما يجد رأيين مختلفين فى أمر من الأمور ، وقال عنه أحدهما : إنه حلال وقال الآخر إنه حرام . . كما يحدث كثيراً ؟ .

ج — هنا يجب أن نتذكر قول سيدنا رسول الله ﷺ : « الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات ، فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » . .

فإذا قال واحد عن أمر : إنه حلال . وقال الآخر : إنه حرام ، فإن الأحوط للدين أن نتقى الشبهات . .

* * *

الحناء والمانيكير

س — يبيح العلماء الحناء لزينة النساء ، ويمنعون « المانيكير » فما هو السبب ، مع أن كلا منهما زينة ثابتة ؟ .

ج — الحناء صبغ ، وليس طلاء . . والصبغ يتخلل جلد الإنسان فيمتصه ، ويصبح جزءاً منه ، ولا يمكن إزالته إلا بتجدد أنسجة الجلد بمرور الوقت .

أما الطلاء فيمكن إزالته بالمواد الكيماوية أو غيرها .

ولذلك فإن الصبغ لا يمنع وصول الماء فى الوضوء والغسل إلى الجلد أو الجسم ، ولكن الطلاء يمنعه : وهذا هو السبب .

* * *

الحجاب فى القرآن

س — تقول سائلة فى مجلة حواء : إنى أريد أن أعرف الآية التى تذكر الحجاب للمرأة فى القرآن ، لأنى بحثت عنها ولم أجدها . وتقول : إن بعض العلماء اختلفوا فى تقييم هذه الأعمال ، فقد قال البعض : إنها ليست فاحشة ، وقال البعض : إنها معصية يجب التوبة منها فأيهما نتبع ؟ .

جـ — يقول فضيلة الشيخ متولى الشعراوى للسائلة :

هل أنت مجتهدة فى دينك ؟ أم أنت مقلدة سائلة ؟ .

ليس مطلوبا من المقلد أن يعرف دليل الحكم ، وذلك لعدم توفر الأدوات اللازمة لديه ، بينما نجد من العلماء من تخصص فى ذلك تماماً ، مثلما يتخصص الطبيب فى علاج العين والأذن والبطن وغير ذلك . .

أنت تقرئين القرآن قراءة تعبدية ، ولا تقرئينه قراءة

استنباط ، وبقراءتك التعبدية يمكنك فهم بعض الأحكام حسبما يريد الله لك . . ويبدو أنك عنـــدما قرأت القرآن لم تفهمى معنى قول الله تعالى :

(قل للمؤمنات يدنين عليهن من جلابيبهن) . .

فهنا تحديد لطول الجلباب من أسفل ، كما حـــدد المطلوب من أعلى فقال :

(وليضربن بخمرهن على جيوبهن) . .

ومطلوب من المسلمين جميعاً أن يرجعوا إلى علماء الدين الموثوق بهم ، لكى يعرفوا منهم ما يريدون فهمه ، وفى ذلك قال الحق تبارك وتعالى :

(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) . .

فلا بد إذن من وجود متخصصين مأمونين على دينهم . . لذلك قال تعالى :

(ولو ردوه ، إلى الرســول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) . .

فأنت إذا مرضت لا تبحثين فى كتب الطب عن مرضك وعلاجه ، فلو فعلت ذلك فقد تخطئين ، وقد تصيبين ، ولكنك إذا أخطأت فمن الممكن أن تتسببى فى مشاكل كثيرة . . وذلك إلى جانب الجهد المضنى الذى تبذلينه لذلك ، لعدم تخصصك فى هذا الشأن . .

لذلك فكلنا يسلك الطريق السهل والمؤتمن ، بأن يذهب إلى المتخصص للعلاج . . وهذا ما يجب علينا فى أمر الدين كذلك



الفاتحة بين العروسين

س — ما هو حكم قراءة الفاتحة عند خطبة الزواج ؟ . . وما آثاره ؟ . .

ج — الخطبة الشرعيــة هى القول بأن فى النية تزويج هذه الفتاة لذلك الفتى : وهى ليست عقداً . .

وقد توسع الناس فى معنى الخطبة ، فأعطوها من الحقوق ما ليس لها ، وحق الخطبة : أن ينظر الخاطب إلى المخطوبة مع محرم لها مرة واحدة فقط . .

أما ما نعلمه الآن من أن الخطبة وسيلة للاختلاط والدخول والخروج والصحبة ، فهذه مسألة ليست واردة .

فلا بد أن يحدد الناس معنى الخطبة ، وهى إبداء الرغبة فى أن تكون زواجاً ، وليست زواجا ، فلا يترتب عليها حقوق ، وإن كان كما نعلم إيجاب وقبول ولم يكتب فى وثيقة ، فهو زواج لأن الكتب فى وثيقة هو تسجيل للحق المدنى ، ولكن ديانة إن تمت الخطبة بإيجاب وقبول ولم توثق تصبح زوجته .

ولذلك إذا تركها فإنه لا يفسخ الخطبة ، ولكنه قد يطلق ، فلا بد أن نضع للخطبة حدوداً ، ولا بد أن نضع للخروج منها حدوداً إن أخذت صيغة من صيغ العقد . .

فإن لم يكن فحدودها أنه لا يحل له الاختلاط بها كما نرى ما يحدث الآن :



سجدة التلاوة

س — إذا قرأ المصلى فى صلاته آية من آيات السجدة ، فهل يسجد للتلاوة أثناء الصلاة ؟ أم إن سجدة التلاوة واجبة عند التلاوة فقط خارج الصلاة ؟ .

جـ — إذا قرأ المصلى منفرداً أو قرأ الإمام آية سجدة فى صلاة جهرية فإنه يؤديها . . أما إذا كانت صلاة سرية فلن يعلم المأموم بها فلا تؤدى . .

أما إذا صلى الفرد منفرداً فعليه أن يسجد سجدة التلاوة فى الصلاة الجهرية والسرية جميعاً . .



آداب الدعاء

س — هل هناك آداب للدعاء فى المواقف المختلفة عند قراءة القرآن ؟ .

جـ — لا مانع من أن ينفعل الإنسان للقراءة . . فإذا قرأ إنسان مثلا :

(**إذا جاء نصر الله والفتح**[1]) فيقول سامعها سبحان الله . وعندما يقرأ : (**فسبح بحمد ربك**) . . يقول : سبحانك ربنا وبحمدك . وعندما يقرأ : (**واستغفره**) يقول : أستغفر الله العظيم . وإذا قرأ : (**إن الله وملائكته يصلون على النبى**) يردد قائلا : اللهم صلى على النبى وسلم . .

وفى آيات مثلا انفعل الكاتب لها ورسول الله ﷺ يقرؤها عليه ، فقال : (**تبارك الله أحسن الخالقين**) . فقال رسول الله ﷺ : « اكتبها فقد نزلت » .

إذن الانفعال للقراءة ، والتعليق عليها بما يناسبها ، أمر محمود فمثلا فى آية جهنم يقول القارىء : اللهم أعذنا منها . وهكذا فى كل شىء بما يناسب المعنى . .

والرسول ﷺ ، قال لأصحابه : « لقد قرأت سورة الرحمن على إخوتكم الجن ، فكانوا أحسن استجابة منكم . . كلما قرأت (**فبأى آلاء ربكما تكذبان**) ، قالوا : ولا بشىء من نعمائك ربنا نكذب فلك الحمد . .

إذن فالانفعال بالقرآن ، والتعبير عن هذا الانفعال بالأسلوب المناسب له أمر وارد شرعاً . .

* * *

القراءة خلف الامام

س — هل يجب قراءة الفاتحة بعد الإمام فى صلاة الجماعة ؟ وهل يجهر المصلى بقوله : (آمين) بعد الفاتحة ؟ .

ج — كلمة (آمين) لا بد أن تكون سراً . . وأما قراءة الفاتحة خلف الإمام فللأئمة فى ذلك كلام :

الشافعى يرى أنه لا بد من قراءة الفاتحة . وعلى الإمام فى الصلاة الجهرية حين يقرأ الفاتحة لمن خلفه أن يمكث بعد القراءة فترة قبل أن يقرأ السورة مقد ما تسع قراءة الفاتحة لمن خلفه ، لأن الشافعى يقول : لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب .

لكن أبا حنيفة قال : إن قراءة الإمام هى قراءة للمأموم ، ولذلك لا يقرأ المأموم أبداً ، لا سراً ولا جهراً .

وحين قال الشافعى : لا بد من قراءة الفاتحة ، عارضه البعض ، بحجة من كلام .

قالوا : إذا أدرك المأموم الإمام وهو راكع ، أتحتسب له ركعة أم لا ؟ إنها تحتسب حسب المذهب الشافعى . .

فرد قائلا : إنه حين يدرك الركعة عند الركوع فلا يدرك قراءة ، فاتحة الكتاب ، إذن تحملها عنه الإمام . .

لكن الإمام مالك رضى الله عنه قال : المأموم فى الجهرية يستمع ، وفى السرية يقرأ ، لأنه لا يسمع شيئاً ، فيقرأ .

وهذا هو ما أرجحه ، وهو أن المأموم فى الجهرية يستمع ، وفى السرية يقرأ .



صلاة المرأة فى الطريق

س — هل يجوز للمرأة فى الطريق إذا حان وقت الصلاة ، وخافت فواتها، ولم تكن على وضوء ، مع صعوبة الوضوء : أن تتيمم وتصلى فى الطريق أو بأحد المساجد ؟ أم تصلى قضاء عند العودة إلى المنزل ؟ .

ج — من الأفضل أن تتوضأ المرأة بأحد المساجد بالطريق وتصلى . وإن لم يتيسر لها الوضوء لعدم وجود الماء فلتتيمم وتصلى ، وتؤدى الصلاة قبل فوات وقتها .



الزواج السرى

س — لظروف معينة قد يتم الزواج الشرعى المستوفى للأركان بين فتى وفتاة سراً بغير علم الأهل ، فما حكم هذا الزواج ؟ . .

ج — يشترط فى الزواج الإعلام . . فما نراه من الطبل والزمر والزينة وما إليه نشأ لهذا الغرض ، وذلك لكيلا يتعرض الناس لأعراض الناس . فالإعلام يعرف الناس جميعاً بزواج ابنتى من فلان . فلا يتساءل الناس على سبب دخوله وخروجه من بيتهم . .

لكن إذا استتر الزواج فإننا نكون قد نقضنا علنية الزواج وهو شرط فيه . .



صور الحيوانات

تقوم الكثير من السيدات والفتيات بنسج أو رسم صور الحيوانات على الورق أو القماش لتزين بها الحوائط ، فهل هذا حرام ؟ . .

ج — لا شيء في ذلك ، ولكن ما حرم هو ما يفعله البعض لتقديس هذه الحيوانات . أما أن ترسم لكي يستعمل في الزينة فلا مانع من ذلك .

* * *

الاخرة ليست سرابا

س — يردد الشيوعيون وأمثالهم من الماديين أن الآخرة سراب اخترعه رجال الدين ليخدروا به المحرومين والمطحونين . ويرون أن الجزاء الدنيوى هو كل شيء ، فما الفرق بين الجزاء الدنيوى والجزاء الأخروى إذن ؟ . .

ج — الفرق بين النعيم فى الدنيا والنعيم فى الآخرة : أن الإنسان فى الدنيا يعيش قلقاً خوفاً من زوال النعمة . فالنعمة

إما أن تفارق الإنسان بأن تزول عنه ، أو يفارقها الإنسان بأن يترك الحياة الدنيا . .

لذلك نجد أشـد الناس حرصاً على الدنيا ذلك الذى هو فى نعمة يخشى أن يفارقها ، ولـكن النعمة فى الآخرة لا تفارق الإنسان أبداً . .

إذن فمن الخير لى أن يكون نعيمى فى الآخرة ، حيث لا تفارقنى النعمة أبدا . . بل أعيش مخلدا فيها . .

ولقد دخل الأشخاص على رجل صالح وقال له : أريد أن أعرف ، أنا من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة ؟ فقال له : إن الله أرحم بعباده من أن يجعل موازينهم فى أيدى أمثالهم . . فميزان كل امرىء ، فى يد نفسه . .

لماذا ؟ . .

لأنك تستطيع أن تغش الناس ، ولكنك لا تستطيع أن تغش نفسك ، ميزانك فى يدك ، تستطيع أن تدرك ، أأنت من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة . فقال الرجل طالباً من العبـد الصالح أن يشرح له كيف ذلك ؟ فرد العبد الصالح :

إذا دخل عليك من يعطيك مالا ، ودخل عليك من يأخذ منك صدقة ، فبأيهما تفرح ؟ فسكت الرجل .

وهنا قال العبد الصالح : إذا كنت تفرح بمن يعطيك مالا فأنت من أهل الدنيا ، وإذا كنت تفرح بمن يأخذ منك صدقة فأنت من أهل الآخرة . .

وذلك لأن الإنسان يفرح بمن يقدم له ما يحبه . . فالذى يعطينى مالا يعطينى الدنيا ، والذى يأخذ منى صدقة يعطينى الآخرة . . فإذا كنت أهل الآخرة ، فإنى أفرح بمن يأخذ منى صدقة أكثر من فرحى بمن يعطينى مالا . .

وقضية الآخرة قضية حتمية من قضايا الإيمان ، لأننا ساعة نؤمن أننا مردودون جميعاً إلى الله وحده يكون فى ذلك اطمئنان الإيمان فى القلوب ، وأنت وحدك الذى تضع الأساس ، أو تملك الميزان ، ولذلك لو جعل الله الدنيا وحدها ، لأصبح القوى فى الدنيا يأخذ كل شهواته بلا قيود ، وبذلك تصبح الحياة أقسى من حياة غابة الوحوش . .



الصـــالحون والدنيا

س — نريد مزيداً من نماذج سلوك الصالحين فى مواجهة الحيـــاة الدنيا حتى يهتز حرص الناس عليها ، وتنحل عقـــدة قلوبهم عنها . .

ج — كان بعض الصالحين إذا دخـــل عليه من يريد منه صـــدقة قام له وقال : مرحباً بمن جاء يحمل لى زادى إلى الآخرة . . أى إنه جاء لا ليأخذ منى شيئاً ، بل جاء يحمـــل حسناتى إلى الآخرة ، ولا يتقاضى منى أجراً . .

والكلمة غير الطيبة تفسد الصدقة ، مصداقاً لقوله تعالى :

(قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) .

لأن الذى يتبع الصـــدقة بالأذى ليست وجهته الآخرة ، وليس إيمانه كاملا ، إذن كيف أهين أو أوذى ذلك الذى جاء يحمل حسناتى إلى الآخرة بلا أجر . أيأتى إنسان يحمل زادى إلى الآخرة فأهينه وأوذيه ؟ أيكون هذا إيماناً ؟ أم إننى أرحب به وأكرمه وأفرح ، لأنه سيؤدى لى خير ما فى الدنيا ، وسيؤديه بلا أجر . .



من الغيب إلى الشهادة

س — لماذا كان الخطاب فى (إياك نعبد) ومابعدها للمشاهد الحاضر بعد أن كان السياق للغائب ؟ .

ج — نعم . . هناك فى اللغة ما يسمونه « ضمير الغائب » إذا قلت : زيد جاء فهو موجود . وإذا قلت : قابلت زيداً فهو غائب . قابلته ، لكنه غير موجود معنا وقت الحديث .

إذن هناك غائب وحاضر ومتكلم . . وقضايا العقيدة كلها ليس فيها مشاهدة ، فأنت عندما تجلس أمامى وأراك وأتحدث إليك لا أقول : إنى أومن بك ، لأنك أمامى ، وأنا أراك . ولكن الإيمان لا يكون إلا فيما هو غيب عنى . ولذلك فالله سبحانه وتعالى يتكلم بضمير الغائب ، لأن الله غيب . فيقول : (**الحمد لله رب العالمين**) . . الله غيب . . ورب العالمين غيب . والإيمان إيمان بالغيب ، ولا توجد عقيدة فى أمر حسى أبدا . .

لا أقول — مثلا — وأنا جالس أمامك ، وأنت تتحدث إلى : ـ إنى أعتقد أنك تحدثنى . . أو مؤمن بأنك تحدثنى . . لأن هذه ليست عقيدة ، لأنها أمر حسى لا يدخل فى مقام الاعتقاد .

إذن فالحمد لله غيب ، ورب العالمين غيب ، والرحمن الرحيم ، ومالك يوم الدين غيب . . والقياس هنا على أساس الغيب ، وكان لا بد إذا سرنا على نفس الطريق أن يكون السياق ، إياه نعبد ، ولكن الله سبحانه غير السياق ، وجعله حاضرا ، فقال :

(إياك نعبد وإياك نستعين) . .

فانتقل الغيب إلى حضور المخاطب ، فبعد أن كان علم يقين بالغيب أصبح عين يقين ، فلا تقول : إياك نعبد ، ولكن تقول : (إياك نعبد) . . وكأنك قد استحضرت الغيب ربا ورحمانا ورحيما ، واستحضرت مالك يوم .

وعندما اختمرت صفات الغيب انتقلت إلى محضر الشهود . .

وقلت :

(إياك نعبد وإياك نستعين) . .

* * *

حقيقة الاخلاص

س — قال إبليس معترفا بأنه لن يستطيع اضلال المخلصين : (إلا عبادك منهم المخلصين) . . فمن هم هؤلاء المخلصين ؟

جـ — المخلصون هم : الذين اختاروا طريق الله بحب . وتنازلوا عن اختيارهم ، حبا فى الله . . هؤلاء لا يستطيع إبليس أن يغريهم أبدا ، لأنه يعلم أن الله يرعاهم ، ويدافع عنهم ، ويحيط بهم أينما كانوا ، وأن سياج عناية الله يمنع إبليس من الاقتراب منهم .

ولذلك يقول الله تعالى :

(لا إكراه فى الدين)

فالله تعالى لا يريد قوالب تخضع ، ولكن يريد قلوبا تخشع بالحب ، لأن إخضاع القالب يمكن أن يأتى بالرغم منك .

فإذا أمسك إنسان « كرباجا » وقال لك : اقفل كذا ، وضربك بقوة ، وآلمك الضرب ، فخضع الظاهر منك ، وقمت تقفل له ما يريد ، فهل فعلت هذا بحب ؟ هل فعلته بشوق ؟

لا . . أنت تفعله وأنت مكره . . والله تعالى قادر على هذا ، ولكنه لا يريد أن يكرهك ، ولكنه يريد قلوبا تخشع ، أى يريدك

أنت أن تخشع من داخل قلبك ، والقلب هو المنطقة الحرة التى خلقها الله فى الإنسان . . ولا تستطيع قوة فى الأرض أن تجعلها مقهورة على شىء .

فما فى قلبك هو ملك خاص لك ، ليس للعالم كله سلطان عليه . . وقد يكرهك إنسان فتتظاهر له بالحب . . ولكن قلبك يظل يكرهه ويرفضه . . وقد تتظاهر لإنسان بالخضوع ، ولكن قلبك يمقته . .

مهما فعلوا بك . . لو وضعوك فى سجن تعذب فيه ليل نهار ، ولو قطعوا جسدك ، فإنهم لن يستطيعوا أن يكرهوا قلبك على حب شىء تكرهه ، أو كره شىء تحبه . . بل تبقى هذه المنطقة حرة لايتدخل فيها إنسان ، ولا يستطيع أن يتدخل . .

ولذلك قال الله تعالى :

(إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)

لماذا ؟

لأن الإكراه فى هذه الحالة يكون إكراها للقالب وليس للقلب .

والله — كما قلنا — لا يريد قوالب تخضع ، وإنما يريد قلوبا تخشع . .

ولذلك فما دام القلب خاشعا فإنه راض ، حتى ولو أجبر القالب على غير ذلك .

ولذلك فقد أسقط الحساب عن كل من أكره قالبه على شيء وقلبه يرفضه . . فأنت إذا أمسكت عصا غليظة، وأجبرت إنسانا على الصلاة ، وقلبه لايريد الصلاة ، ويرفضها ، فلا صلاة له . . وإذا أكرهت إنسانا على فعل منكر وقلبه يرفضه ، فلا حساب عليه ، والله يسقط عنه الحساب . ولذلك يقول سبحانه :

(إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين).

إنه يقول لرسوله الكريم : أنا لا أريد أعناقاً تخضع بالقهر ، لأنى لو أردت ذلك ، فما أسهل أن أفعله .

أنا لا أريد إكراها ، إنما أريد « عبادية » تأتى بالحب لى ، وليس بالإكراه على عمل أريده .

فالله سبحانه حين يقول :

(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)

فالمهمة هنا : أن يكونوا عبادا لا عبيداً . . أن يأتوا الله سبحانه وتعالى عن محبوبية وخضوع ، ولو أتوا على غير ذلك ما حققوا مهمتهم فى الحياة . . وأن يأتوا لى عن حب فيما يعملون. إذا عبدوا فعبادتهم عن حب ، وإذا حكموا فيما يرضينى عن حب ، وإذا باعوا أو اشتروا ، فلينفذوا ما أمرتهم به عن حب ، وفى كل أمر من أمور الحياة ، فليأتونى عن حب .

وما دام الله سبحانه وتعالى قد خلقنا مختارين فى الحياة ، إذن فكل ما تعمله فيما فيه اختيار لك يكون عن رضا وعن رغبة وعن غاية .

الذى يسرق لم يسرق مكرها ، ولم يقدم على عمل لا يحبه ، بل الله سبحانه وتعالى أعطاه حرية فى أن يسرق وألا يسرق . فإذا سرق ، فقد اختار أن يسرق ، وخرج عن معنى الآية (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) .

أى إنى أريد من الجن والإنس أن يأتوا إلى حباً . . إذن فالمحبوبية لله سبحانه وتعالى ، والحب له . وهذا هو الإخلاص .



درجات المؤمنين

س — هل يمكن القول بأن المؤمنين جميعا على درجة واحدة من الإيمان ، بمعنى أن الإيمان ضرب واحد ، وليس هنا إيمان أقوى من إيمان ؟

ج — درجات الإيمان تتفاوت عند الناس ، ولذلك هناك من هو أرقى فى العبادة من غيره . قال الله تعالى :

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

إذن هناك كريم وأكرم . . هناك منازل . . هناك أعلى هم الأنبياء .. المؤمنون أعلى درجات الإيمان ولكنهم غير معصومين .. وهناك الأنبياء وهم معصومون وسيد المرسلين محمد ﷺ هو غاية الخلق كلهم ، لأنه الذى سيمثل العبادية المرادة من الله لله ، وتكون (**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) عبادية مرادة محبوبة لله ، والذى يمثلها : تقى ، وأتقى ، ثم كريم وأكرم .

ثم ترتقى إلى أن تصل إلى مرتبة الأنبياء ، وإذا جئنا لنقارن أكرمية وأتقى الأنبياء نجد فى القمة محمداً ﷺ لأنه هو الذى يحقق العبادية المثلى لله سبحانه وتعالى :

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا)

هنا فى هذا الدين — وهو الإسلام — تيمثل أكبر دؤحات الرضا من الله سبحانه وتعالى ، وآخر درجات الإتمام للعبادية التى أرادها الله من خلق الإنسان فى الأرض . . وتكون هذه العبادية عن محبوبية وعشق ، والدخول فى طاعته طوعا واختيارا ، تكون هذه العبادية قد تمت . والذى أرسله الله سبحانه مثلا للبشرية كلها يحتذى فى تمام العبادية لله هو محمد علية الصلاة والسلام .

فهو الذى أتم الله على يديه الدين ، وجعله مثلا أعلى يحتذى به أولئك الذين يريدون أن يعبـــدوا الله عند حرية واختيار ، ويكونوا عباداً لله فى الأرض .

وإذا عرفت هذا فلا بد أن يتســـع عقلك وفطنتك لمقامات رسول الله ﷺ ، عند ربه .

* * *

حدود الاختيار فى المباح

س — الحلال وهو المباح ، هل أطلق الله أيدى عباده فيها أم قيدها ؟ . .

ج — هناك أشياء لم يقيد الله سبحانه وتعالى حركتها . . مثلا أنا أريد أن أشترى سريراً . . هذا يختار سريراً ضيقاً ، والثانى يريد أن يشترى سريراً واسعاً . . كل يفعل ما يريد .

إنسان يحب لوناً من الطعام ، وإنسان يحب لوناً آخر . . فليأكل كل ما يحبه ، ما دام حلالا . .

إذن هناك أشياء لا يخرجنى الاختيار فيها عن محبوبى لله سبحانه وتعالى . . والله جل جلاله أعطانا عطاء فى الدنيا . .

تماماً كما تأتى أنت لابنك وتعطيــه جنيهاً . . العطاء هنا للاختيار . :

قد ينزل الابن ويشترى شيئاً نافعاً : كتاباً مثلا ، أو طعاماً يشتهيه . . وقد ينزل ويشترى بهذا الجنيه مطواة أو أى سلاح يستخدمه فى أذى البشر .

هو أخذ العطاء كما يأخذ كل واحد منا عطاء ربوبية الله له . . ولكن فيم استخدمه ؟

إنه يستطيع أن يستخدمه فيما ينفع الناس ، وفيما يضرهم ، فيما ينسجم مع حركة الكون ، وفيما يصطدم مع حركة الكون .

فى الاستخدامين هو يختـــار عن رغبة وعن حب ، بحيث لا يستطيع أن يحمل إنساناً آخر وزر ما ارتكبه هو .



تعقيب :

وحدود الاختيار هنا : أن يكون بعيداً عن الإسراف والترف ، حتى ولو كان ما اختاره مباحاً ، فالإسراف فى المباح كبيرة من الكبائر . وكذلك الترف ، الذى هو المرض القلبى

والنفسى الناشىء عن الإسراف . . فإشباع النفوس مما تهـــوى ليس من مقاصد الإسلام . . بل الاقتصاد فيما تهوى النفوس هو المطلوب . .



حجـــة قاطعة

س — هل أقام الله سبحانه وتعالى الحجة على الناس جميعاً ؟ وما هى هذه الحجة القاطعة ؟ . .

ج — نعم . . حجة الله البالغة القاطعة هى عطاء ربوبيته.. وعطاء الربوبية هو الذى أوجده الله لكل مخلوقاته باعتباره ربا وراعياً لهذه المخلوقات . . وعطاء الربوبية لا يفرق بين المؤمن والكافر . ولا يستطيع أن ينكره أحد ، ولذلك قال تعالى :

(وإذ أخـــذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) ؟ .

وهنا نلاحظ أن الله سبحانه وتعالى لم يقل : ألست بإلهكم ، لأن الألوهية تقتضى العابد والمعبود ، أو تقتضى العبودية لله . . وهناك من سيكفر ، أو من سيحاول ستر وجود الله . .

وأنت قبل أن تكلف بالعبودية لا بد لك من أشياء كثيرة حتى تفهم وتعقل ، وتؤدى واجب العبودية لله سبحانه وتعالى : ولكن عطاء الربوبية هو عطاء لكل البشر .

إذن فقول الله : (**ألست بربكم**) . . يدل على أن هـذا الاسم هو أول شيء قرع الآذان من خطاب الحق للخلق .

وإذا تأملنا عطاء الربوبية نجد أنه لا يوجـد إنسان مؤمن أو كافر يستطيع أن ينكر عطاء الربوبية . . . فكل الأشياء التى سخرها الله سبحانه وتعالى للإنسان فى الكون هى عطاء الربوبية .

الأرض التى نعيش عليها ، والسماء التى فوقنا ، والأمطار ، والشمس وكل ما يلزم الحياة على الأرض . . كل هذه الأشياء هى عطاء الربوبية . . أى إنها عطاء للجميع بقدر متساو .

وعطاء الربوبية وهو حجة الله على خلقه ما زال قائماً ، وقول الله سبحانه وتعالى : « ألست بربكم » ، ما زال يدوى فى الكون حتى الآن ، ولم يتقدم أحد ليدعى خلق الشمس أو الأرض أو غيرهما .

ومن هنا فعطاء الربوبية قائم بلا نزاع ، وليس فيه جـدال يستطيع أن يقدمه كافر ، أو يعلنه ملحد ، بل هو عطاء ظاهر لله ، وعليه الحجة الدامغة ، والدليل القاطع .

الحجة فى رحمة الله

س — فى رحمة الله حجة أخرى . . ونحن نريد تسليط الضوء على رحمة الله بعباده حتى يتبين مدى جحود البشر ؟ .

ج — الله سبحانه وتعالى خلق من عدم ، وأمد من لا شيء وأنعم بنعم لا تعد ولا تحصى . . وإعلان الله تعالى أنه رب العالمين فيه طمأنة لخلق الله على أن كل ما هو مخلوق ومسخر للإنسان لن يتخلى عن هذا التسخير ، لأنه لا يتلقى الأمر إلا من الله الواحد الأحد . .

فليس هناك إله يجعل عالما من العوالم يتمرد على خدمة الإنسان ، فالله إله واحد أحد ، ولو كان هناك أكثر من إله لفسدت الأرض . . والعالم الذى سخره الله تعالى لخدمة الإنسان هو عالم القهر ، أى كل ما فيه مقهور لا اختيار له ، ولذلك لا يستطيع أن يخرج عن مهمته فى الحياة .

وقد يرى الكون الإنسان عاصياً لله ، وهو عدم الانسجام بين الكون والإنسان ، ولكنه رغم ذلك لا يســتطيع أن يمتنع عن خدمة الإنسان ، والخضوع لإرادته .

ولذلك يصور لنا رسول الله ﷺ هذا الأمر تصويراً يحدد معنى رحمة الخالق سبحانه وتعالى بالإنسان ، وجحود الإنسان لربه ، فيقول :

« قالت الأرض : يا رب ائذن لى أن أخسف بابن آدم ، فقد طعم خيرك ومنع شكرك .

وقالت السماء : يا رب ، ائذن لى أن أسقط كسفاً على ابن آدم ، فقد طعم خيرك ومنع شكرك .

وقالت الجبال : يا رب ، ائذن لى أن أخر على ابن آدم ، فقد طعم خيرك ومنع شكرك .

وقالت البحار : يا رب ، ائذن لى أن أغرق ابن آدم ، فقد طعم خيرك ومنع شكرك » .

إذن فكل العوالم التى سخرها الله سبحانه للإنسان ضجت من معصية الإنسان ، وهنا ننظر إلى قول الحق لنعرف معنى رحمته سبحانه وتعالى ، قال :

« لو خلقتموه لرحمتموه ، دعونى وعبادى ، فإن تابوا إلى فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم » .

* * *

الرسالة الخاتمة

س — كانت الرسالة المحمدية خاتمة للرسالات ، فلماذا كانت هي الخاتمة ؟ وما موضعها بين موجات التقدم الفكرى الحديث؟

ج — انتهت الرسالات برسالة سيدنا محمد ﷺ ، فكان الرسول الخاتم ، الذى لا استدراك للسماء بعد ذلك على رسالته أبدا . . ولماذا كان هو الخاتم ؟ .

لأن الرسل السابقين إنما جاءوا على فترة من الحياة فى فطرة السكون ، وفطرة الحركة فى السكون ، فطرة تقرب الإنسان من السكون . .

والناس قديماً كانوا يذهبون إلى العين — مثلا — فلا يجدون الماء ، فيرفعون أكفهم إلى السماء ضراعة إلى الله ، أن تمطر السماء ، لأنه لا وسائط بين شربهم وبين مطر السماء .

فلما كثرت الوسائط ، وأصبحت هناك صهاريج ، وأصبحت هناك آلات لرفع الماء فى الصهاريج ، وأصبحت هناك آلات تضخ الماء فى الأنابيب ، وأصبحت كل هذه المسائل ؛ وجدت وسائط كثيرة بين النعمة فى أصلها الفطرى من المطر وبين المنعم عليه فى نعمته الحضارية . .

فإذا انقطع المـاء من الصنبور فإنك لا تفكر فى السماء ، ولكن تقول : أطلب وابور المياه ، أو أقفل الخط الفلانى ، أو غير ذلك من المتطلبات ، إلى أن يقول أخيراً : إن الآبار التى عليها آلات لا تخرج ماء ، لأنها قد جفت .

حينئذ يلتفت الناس إلى السماء ، ويسألون الله أن يمطرهم .

إذن فوسائل البشر فى الارتقاء قد تعطيهم لونا من الغرور بفكرهم ، ولوناً من الغرور باستعلائهم ، فيبتعدون عن أصـــل النعمة من السماء ، فكلما تقدم الزمن ، وتقدم العصر ، وابتكرت العقول كان من الممكن أن يستعلى الإنسان . . بعقله وفكره ، ويظن أن له استغناء .

إذن فلا بد أن تكون الرسالة التى جاءت على عهد ارتقاء الحيـــاة رسالة ملفتة لفتا قسريا إلى الحق ، تتخطى حواجز الغرور العقلى كله ، وتعطى الإنسان عطاء يخرجه من هـــذه المادية المطغية إلى الأصل الأصيل فى واهب الأشياء .

فكأن منهج الإســـلام الذى يتمثل فى القرآن هو المنهج الذى يعطى كل تساؤلات الوجود . وكلما ارتقى الفكر الإنسانى فى شىء أعطاه القرآن عطاء يدفع عنه أى ارتياب يؤدى إليه غرور العقل ، وصلف الابتكار .

لذلك كان الإسلام فى منهج القرآن متمثلا فى أمرين :

أولها : أمر يتمثل فى كونية الحياة .

ثانيهما : أمر يتمثل فى « افعل و « لا تفعل » .

فالأمر الذى يتمثل فى افعل ولا تفعل لم يتغير أبداً ، وليس لعقل أن يزيد فيه ، وليس لعقل أن يبتكر ويجتهد فيه ، لأنه حكم تكليفى ، والناس فيه سواء من لدن ﷺ ، إلى أن تقوم الساعة . .

فليس من المعقول أن يوجد بعد عصر محمد ﷺ ، افعل كذا بأمر جديد ، أو لا تفعل كذا بنهى جديد . . أى إن كل أمر وكل نهى إنما جاء من لون محمد ﷺ ، وسيظل كذلك إلى أن تقوم الساعة . أما الذى يمكن أن يتغير فهو عطاء الكونيات فى الأرض . العطاء الذى إن تنبهت إليه أخذت نفعا ، وإن لم تنتبه له لم يضرك فى التكليف شيئاً .

فهب أنك لم تبتكر الكهرباء ، وأنك لم تبتكر الطائرة ، وأنك لم تبتكر الصاروخ ، ما الذى أثر فى حركة حياتك بـ « افعل » و« لاتفعل » ؟ . إن وصلت إليه انتفعت به ، وإن لم تصل إليه لم يضرك شىء .

فكل الجديد لا يأتى فى التكليف بافعل كذا ولا تفعل كذا . .

فالذين يحاولون أن يجعلوا لكل عصر افعل ولكل عصر لا تفعل نقول لهم : أحلتم على الله ، لأن افعل من الله لا تتغير ، ولا تفعل لا تتغير . .

فمن حاول أن يجعل افعل من الله فى مقابل لا تفعل من البشر أو لا تفعل من البشر فى مقابل افعل من الله ، نقول لهم : إنكم أشركتم بالله . . ابحثوا بعقولكم فى كونيات الحياة ، واستنبطوا من الحياة ما شئتم ، لكن لا تعلموا بدينكم لتقولوا : افعل كذا ، ولا تفعل كذا .

فالله لا يتعلم كيف يكلفنا ، ولا يستدرك عليه كيف يكلفنا .

فمن لم يطق افعل من الله فى نفسه ، ومن لم يتحمل لا تفعل من الله فى نفسه فعليه أن يتقى الله ، ولا يتحمل وزر افعل ولا تفعل فى سواه . .



تعقيب :

البحث فى كونيات الحياة يستدعى بعض التفصيل ، لأن هذا النوع من البحث فى حقيقته ينقسم إلى قسمين :

قسم يتجه نحو ابتكار وسائل الترف فى الحياة ، أو وسائل تخفيف مشقاتها كالطيران مثلا . وهذا القسم لا يضر تركه ،

ويفيد فعله إذا كان بعيداً عن السرف والترف . فإن كان متصلا بالسرف والترف فقـد دخل فى النهى الشرعى الذى لا يجوز التأويل فيه بحال من الأحوال .

فمن قال : إن ضرورات العصر تستدعى استخدام وسائل الترف ، قلنا له : الترف كبيرة من الكبائر ، وهو باب الكفر ، والإسلام جاء ليخضع العصر لسلطانه، لا ليخضع هو لتقاليد العصر ودلائل شجب تقاليد العصر فى القرآن أكثر من أن تحصى .

والقسم الثانى : ما هو من البحث العلمى المأمور به بشكل واسع فى القرآن والسنة . كقوله تعالى :

(قل سيروا فى الأرض فأنظروا كيف بدأ الله الخلق) .

وما شابهها من الأمر بالسير والنظر والبحث فى الحفريات لاستنباط مزيد من دلائل الإيمان التى تساير التقدم العلمى ، وتضيف جديداً إلى تأييد القرآن . وكقوله سبحانه :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعـدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) ؟ . .

فهذا أمر دائم بإعداد الجديد من القوة الشاملة لجميع نشاطات الإنسان للحرب النفسية إن لم يكن للحرب الفعلية .

وهذا داخل فى الأمر الإلهى الذى لا يجوز تأويله كذلك . . فالمسلمون مطالبون بمواصلة البحث العلمى ، لخدمة الأوامر الخاصة بالدعوة ، وبالإيمان ، وبقهر العدو ميدانيا ونفسياً . وإن لم نفعل فقد أهدرنا قيمة الإسلام العلمية والواقعية .

وإليكم مثالا واحداً من عشرات أمثله : يذكر الطبيب الفرنسى « موريس بوكاى » فى كتابه « التوراة والقرآن والعـــلم » . أن فرعون موسى هو : « مرنفتاح بن رعمسيس الثانى » . والتوراة تروى أن فرعون غرق ومن معه ، ولا تضيف إلى ذلك شيئاً .

ولكن « بوكاى » يقتنع بحكم القرآن بأن فرعون قد نجا ببدنه وإن كان قد توفى فعلا . فقد قذف البحر جثته ، أو انتشلت ، مصداقاً للقرآن .

والعلم يؤيد القرآن كما قال : « بوكاى » إذ أن مومياء : « مرنفتاح » قد اكتشفت فى وادى الملوك عام ١٨٩٨ م وحفظت فى متحف القاهرة إلى أن جاء الدكتور بوكاى يحاول كشف سر بقائها ، وقد افترضت التوراة أنه غرق فقام بإجراء فحوص واختبارات شاركه فيها فريق من الأطباء المصريين منهم الدكتور المليجى ، والدكتور مصطفى المنيلاوى . . ثم نقلت المومياء إلى باريس حيث أخضعت لتجارب أخرى .

ومع أن الفحوص لم تؤكد أن الوفاة كانت بسبب الغرق ، إلا أن الذى ظهر بشكل لا يقبل الجدل هو أن فحص جوفه أثبت أنه أصابه الغرق .

وهنا صدق الله فى إنجاء بدن فرعون ، وحفظه بالتحنيط ، حتى يزيد المؤمن إيماناً ، ويبطل قول الكافرين ، ويثبت هيمنة القرآن على ما سبقه من الكتب .

فهل هناك حرية العمل أو عدم العمل فى هذا المجال ؟ . لا بل هو الأمر بالعلم والبحث لا يتبدل ، وإن كنا قد تخلفنا ، وقام عنا غير المسلمين بهذا العمل .



جميع المراسلات :

تكون باسم

أبو اليسر محمد أبو اليسر

مدير الدار

الأعياد تعيد الوئام بين المسلمين

س — يتزاور الناس يوم العيد ، فما هى أبعاد هذا العمل الذى أكدته السنة النبوية ؟ .

ج — أراد الحق سبحانه وتعالى بتشريع الأعياد للناس أن تكون وسيلة ليستتر فيها كبرياء النفس البشرية .

حينما يكون بينك وبين واحد خصومة ، وبعد ذلك يأتى العيد ، فإذا زرته فى يوم العيد فما الذى كسر كبرياءك ؟ هو يوم العيد . . بسمة منك ، وبسمة منه انتهى كل شيء .

إذن فأحداث المسرات التى ينشئها الله تعالى فى الزمان والمكان فإنما ينشئها ليستتر الإنسان بكبريائه فيها . ا هـ

فالله تعالى لما خلق النفس متعالية متغطرسة شرع المكان الحرم والزمان الحرم .

شرع الزمان الحرم ، لأنه إذا قامت حرب بين دولتين مسلمتين ، فكل طرف يتشبث بكبريائه ، ولا يخضع للحق ، فالله تعالى يحرم زمانا من الأزمنة ، ويحرم فيه القتال . . فأنا وأنت نستتر وراء تحريم الله للقتال فى ذلك الزمن .

وبعد ذلك حين تمر فترة تشعر فيها بأمن الاستقرار وسلامتك من المخاطر تتعشق لذة السلام . وحين تتعشق لذة السلام لعلك تستمر فيه ، وكذلك تحريم المكان .

وكذلك العيد . فهو وسيلة لمصلحى ذات البين كى يجدوا وسيلة للصلح ، نقول : نحن فى يوم عيد ، هيا قابل فلانا ببسمة . . هيا نزره .

فالله جعل الزمان والمكان وأعياد الخير مناسبات لتستتر فيها النفس البشرية من كبريائها وعزتها الظالمة الآثمة .

انتهى الجزء العاشر

من سلسلة : « أنت تسأل والإسلام يجيب »

ويليه — بمشيئة الله تعالى — الجزء الحادى عشر

الفهرس

الموضـــوع	صفحة

للطبع والنشر والتوزيع
٣١٧ ش بور سعيد ت ٩١٤٠٢٦

